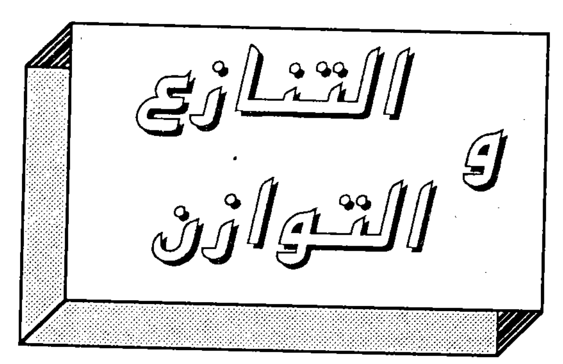
محمد بن حسن بن عقيل موسى

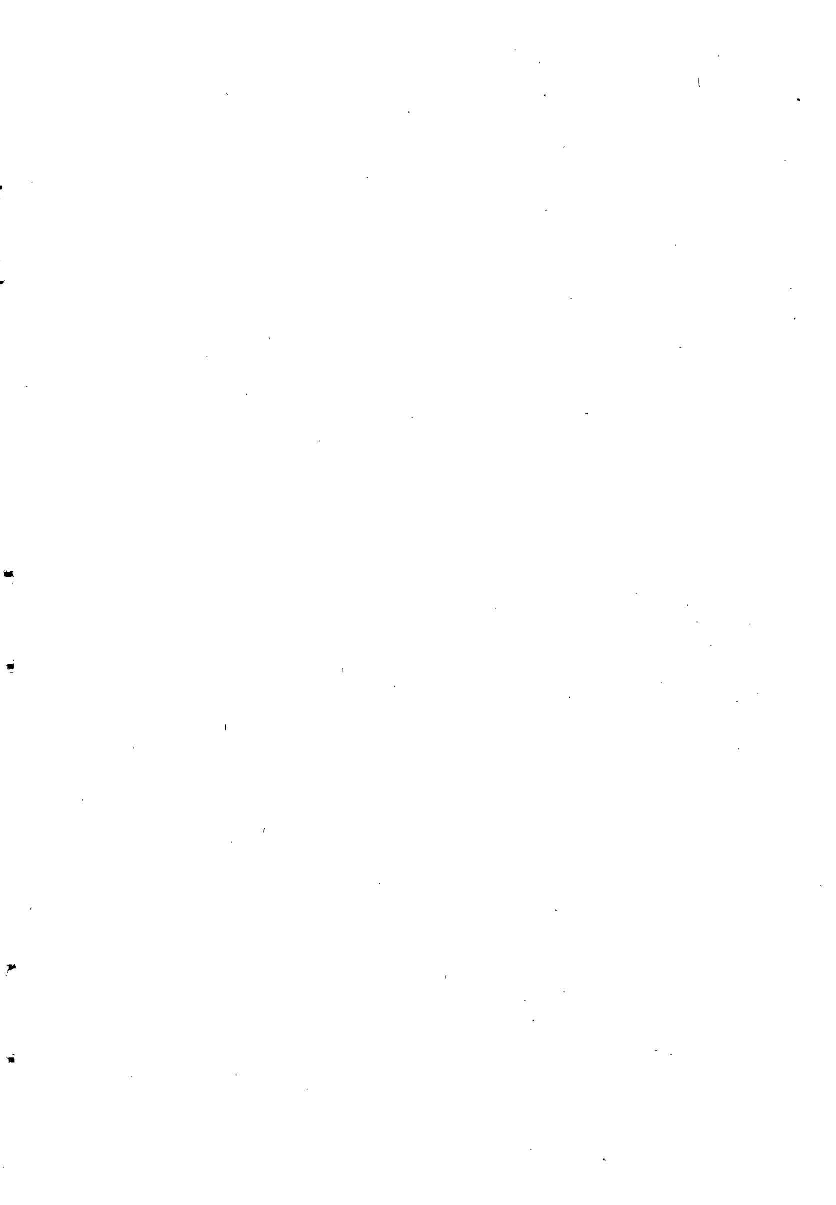


في
حياة المسلم



☎
٦٨٧٣٣١٩ / ٦٨٧٣٢١٩
جدة – المملكة العربية السعودية

التنــــازع والتـــوازن
في حيـــاة المسلـــم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلّمه البيان ، ودلّه على طريق الخيرِ والرشاد بالإيمان ، وأنشأ فيه نوازع كثيرة للخير والطغيان ، فأما من هذّب هذه النوازع فهو الفائز الجذلان ، وأمّا من أتبع نفسه هواها فهو الخاسر الحيران .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله شهادة تنقذني يوم العرض ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي لم يخلد إلى الأرض ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ، وبعد :

إن المسلم ـ اليوم ـ مطالب بإرجاع أمته إلى سابق مجدها وقديم عزِّها، وسبيله إلى ذلك هو إصلاح نفسه ثم دعوة غيره .

وإصلاح النفس هدف يرجوه كل مسلم ولكن دونه عقبات عظيمة لا سيما في هذا العصر ، وأعظم هذه العقبات هي ما كان من داخل الشخص نفسه ؛ إذ أن هناك عقباتٍ في طريق الإصلاح سببها شياطين الإنس والجنّ ، عقباتٍ حسيّة ومعنويّة ، ولكن أعظم العقبات قاطبة هو ما يصادم الشخص داخل نفسه ، فالنفس أمّارة بالسوء، وفيها كِبْر وحسد وحقد وغِلّ وبغضاء ورياء وشقاق ونفاق إلى غير ذلك من المهلكات ، فمن وفقه الله للنجاة من هذه الآفات وأمثالها فهو في خير عظيم ، وقد تكفّلت كتب كثيرة بشرح سبل السلام من هذه المهلكات شرحاً وافياً كافياً .

ثم إن المسلم إذا خلّص دواخله من كل هذا فَجَأَتْه مجموعة من المطالبات النفسية الداخلية ـ وهي ما يمكن أن يسمى « النوازع » ـ أقلقته وعصفت به ، ويمكن في كثير من الأحوال أن يقوده عدم تحقيقها إلى اليأس والإحباط إن لم تدركه رحمة مولاه وفضله ، وأعني

بهذه النوازع ـ وسيأتي للكلمة وضوابطها شرح مفصَّل ، إن شاء الله تعالى ـ هو ما تنزع إليه النفس وترغبه وتشتهيه :

فالمسلم الملتزم بدينه يحب أن يكون داعية إلى الله تعالى .

وكذلك يرغب أن يكون قويّ الإيمان راسخ اليقين .

وهو يحب أن يكون من العابدين الزاهدين .

وكذلك يستهويه المال الصالح .

وتدفعه نفسه إلى أن يكون من رجال الشهرة المعروفين والمتصدرين .

وكذلك يحن المسلم إلى أن يكون ممن رزقه الله تعالى العلم الشرعيّ فأصبح من علماء الأمّة العاملين .

وهـو من الراغبين في الثقافة الفكرية والواقعية حتى يكون مرشداً ومفتياً من مفاتي الشباب والصحوة .

وهو ممّن تَتُوقُ نفسه إلى الجهاد والذَّوْد عن أعراض

المسلمين ، ويكاد يتمزق شوقاً عندما تلامس أذنَه نداءاتُ الجهاد وأخبار البطولات .

وهو ممن لا يُحب أن يُرى مقصِّراً في حقوق الأهل والأرحام والأحباب .

وهو ـ ولا بد ـ ممن يرغب أن يرى أولاده وبناته من عباد الله الصالحين الداعين المجاهدين ، فيربيهم تربية إسلامية حسنة .

فهذه عشرة نوازع في نفس الإنسان المسلم يرغب كل عاقل لبيب أن يجمعها ولكن هيهات أن تجتمع له إلا بتوفيق عظيم .

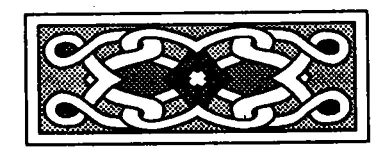
قال ابن الجوزي رحمه الله :

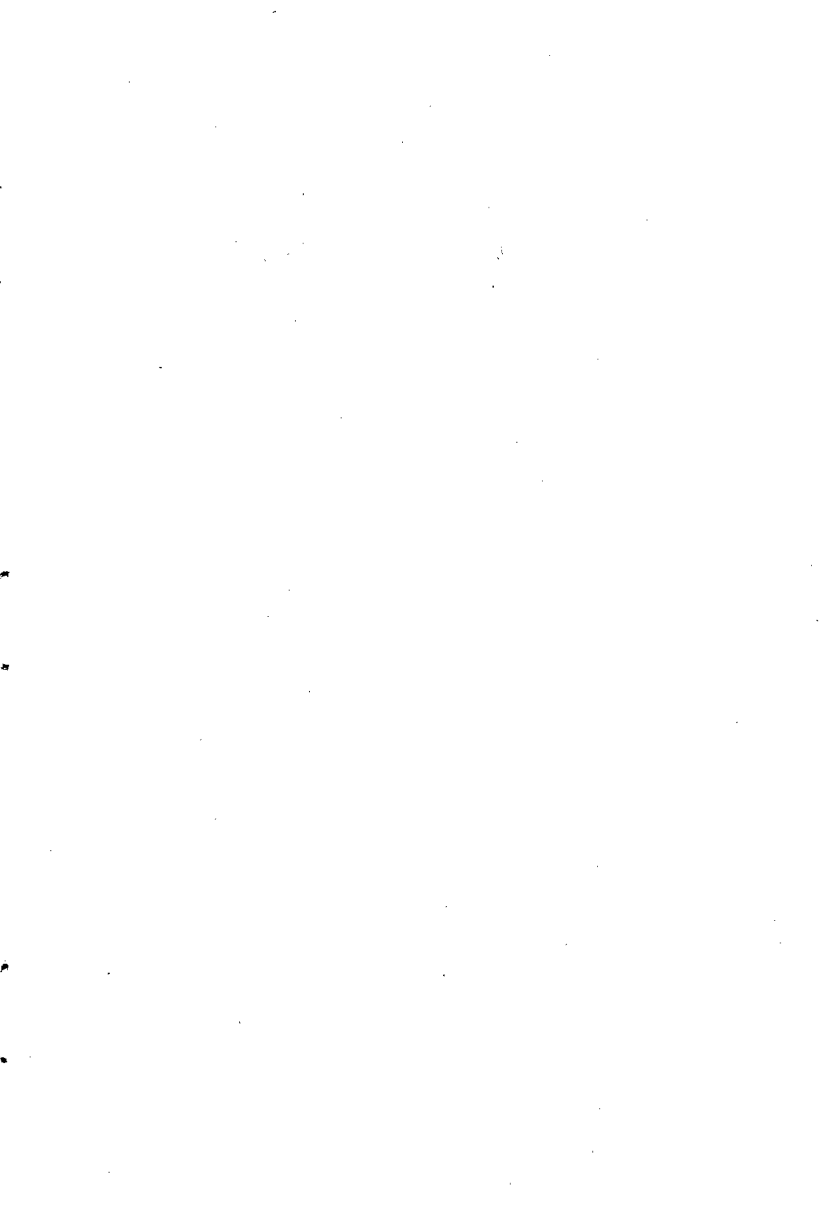
« ويندر من الخلق من يلهمه الكمال وطلب الأفضل ، والجمع بين العلوم والأعمال ومعاملات القلوب ، وتتفاوت أرباب هذا الحال »[1] .

---

(١) « صيد الخاطر » : ٢٦٢ .

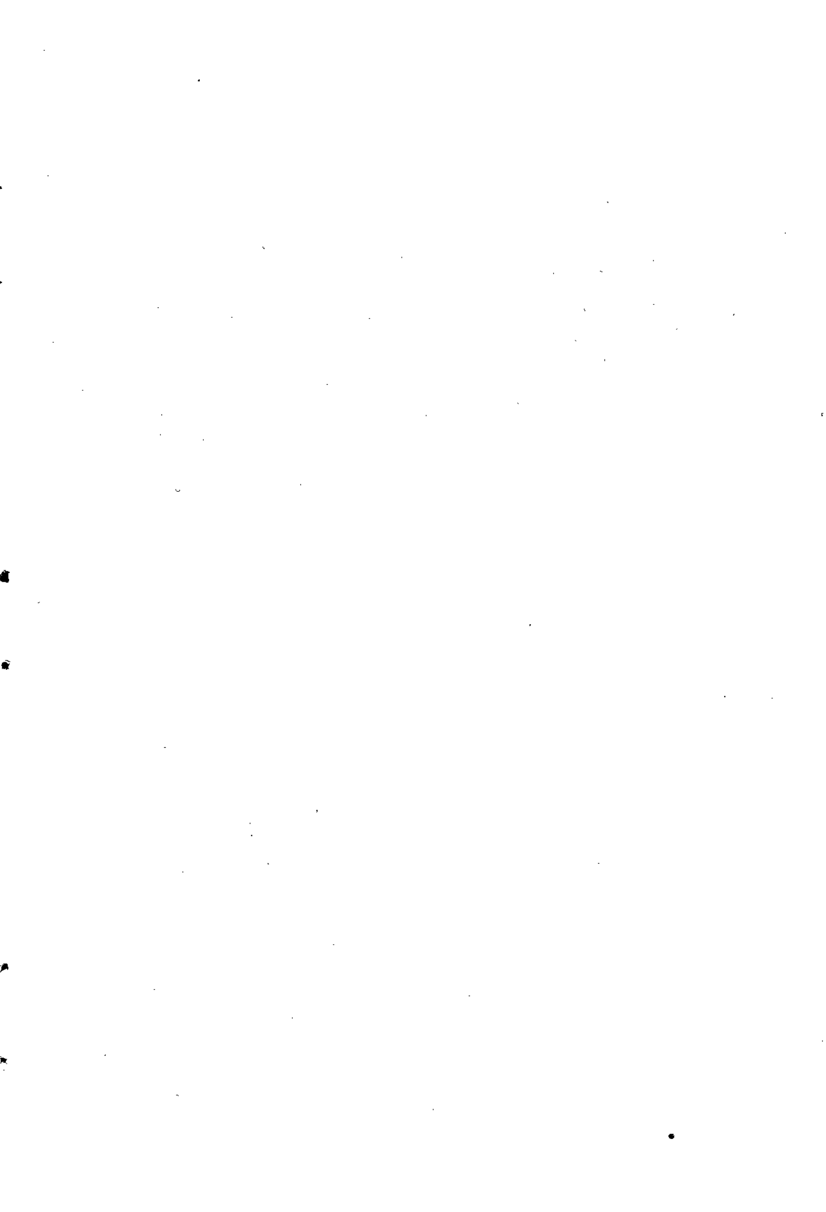
ولشرح هذه النوازع والتوفيق بين بعضها البعض والتوازن والترجيح بينها جاء هذا البحث الذي أحسبه جديداً يضيف شيئاً إلى المكتبة الإسلامية ويشرح أموراً يجدها كل مسلم ملتزم بهذا الدين ، داعية ـ على وجه الخصوص ـ في نفسه حال سيره في دروب هذه الحياة .





١

المبحث الأول
النوازع وأهمية التوفيق بينها



معنى التوازن والنوازع

التـــــوازن :

قال ابن فارس : « الواو والزاء والنون : بناءٌ يدل على تعديل واستقامة ، ووَزِينُ الرأي : معتدله . وهو راجح الوزن إذا نسبوه إلى رجاحة الرأي وشدة العقل »(١) .

« والتوازن هو إعطاء كل شيء حقّه من غير زيادة ولا نقص ، وهو ينشأ عن معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه ، ومعرفة حدودها وغاياتها ومنافعها .

وهو الحكمة المنوّه بها في قوله تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشـاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا وما

---

(١) « معجم مقاييس اللغة » : ٦ / ١٠٧

يَذَّكَّر إلا أولو الألباب ﴾[١] .

وأما التنازع فقد جاء في «المصباح المنير» في مادة «ن ز ع» :

«نازعت النفس إلى الشيء نُزُوعاً ونِزاعاً : اشتاقت، وبعير وناقة نازع : حَنّت إلى أوطانها ومرعاها » .

وجاء في « لسان العرب » في المادة نفسها :

«نازعتني نفسي إلى هواها نِزاعاً : غالبتني ، ويقال للإنسان إذا هَويَ شيئاً ونازعته نفسه إليه : هو ينزع إليه نِزاعاً .

والتنازع : التجاذب ، ومنه حديث : « مالي أُنازَعُ القرآن »[٢] أي أُجاذب في قراءته ، وذلك أن بعض المأمومين جهر خلفه فنازعه قراءته فشغله فنهاه عن الجهر بالقراءة في الصلاة خلفه » .

---

(١) « بصائر تربوية » : ٢٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في باب ما جاء في ترك القراءة خلف الإمام إذا جهر الإمام بالقراءة وقال الترمذيّ « هذا حديث حسن » وقد أخرجه كذلك مالك في الموطأ والنسائي وابن ماجه والإمام أحمد .

فالتنازع تدور معانيه على التجاذب والحنين والمغالبة .

والنّوازع المذكورة في هذا البحث هي الأمور التي يشتاقها الإنسان ويحنّ إليها وتحصل المجاذبة فيها بينه وبين نفسه لتحقيقها وتحصيلها .

ولا يخفى على اللبيب العاقل أن كل إنسان ينزع إلى ما تدفعه همته إليه ، فمن كان عاليَ الهمّة شريف النفس نزع إلى المعالي ، ومن كان ممّن جذبته الدنيا إليها وكبّلته بحبها نزع إلى ما يزيده حباً فيها وتعلقاً بها ، والبون بين الفريقين شاسع ، ولا شك أن حديثي موجّه للفريق الأوّل ؛ لأنه هو الذي تتنازعه فضائل كثيرة ويمكث زماناً يحاول أن يوفق بينها أو يختار منها ما وفّقه الله إليه .

ولقد رأيت أن أتكلم عن نوازع خمسة أظنّ أنّها تستوعب وتتضمن باقي النّوازع التي ذكرتها في المقدمة ، وهذه الخمسة هي :

١ ـ طلب العلم الشرعيّ .

٢ ـ كثرة العبادة .

٣ ـ الدّعوة إلى الله تعالى .

٤ ـ الجهاد في سبيل الله .

٥ ـ طلب المال الصالح .

وهي إن حاكت في صدر المسلم كلها أو بعضها منعته الرُّقاد وأورثته السُّهاد ؛ فلا يعود يطيب له العيش حتى يُحكم أمره فيها ويختار منها ما يوفقه الله تعالى إليه ، وقد يمنّ الله عليه بجمعها أو بجمع غالبها فيكون إماماً قدوةكما سأبين، إن شاء الله تعالى .

والجامع بين هذه النوازع المختلفة بطريقة محكمة هو الذي يملي على التاريخ ما يكتبه ، وهو الذي يجعله الله تعالى ملجأً للنّاس وملاذاً لهم حال الخطب المُدْلَهِمّ والحادث الجلَلَ ، وهو الذي إن عاش كان رمزاً وإن مات صار حديثاً للأجيال .

أما من جدّ واجتهد في جانب أو جانبين من الفضائل واقتصر على ذلك فهو في حال حسنة ولكنها مفضولة .

يقول ابن الجوزي موضحاً كيفية هذا التنازع بين

الفضائل المتنوعة :

« نظرت إلى علو همتي فرأيتها عجباً ؛ وذلك أنني أروم من العلم ما أتيقن أني لا أصل إليه لأنني أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها وأريد استقصاء كل فرد ، وهذا أمر يعجز العمر عن بعضه . . . فلا أرى الرضى بنقصان العلوم إلا حادثاً عن نقص الهمّة .

ثم إني أروم ـ نهايةً ـ العمل بالعلم فأتُوق إلى ورع بشر وزهادة معروف[1] ، وهذا مع مطالعة التصانيف وإفادة الخلق ومعاشرتهم بعيدٌ .

ثم إني أروم الغِنَى عن الخلق وأستشرف الإفضال عليهم ، والاشتغال بالعلم مانع من الكسب ، وقَبول المِنن مما تأباه الهمّة العالية .

ثم إني أتُوق إلى طلب الأولاد كما أتُوق إلى تحقيق

(١) بشر الحافي ومعروف الكرخي من أئمة الزهّاد، رحمهما الله .

التصانيف لبقاء الخَلَفَينْ[1] نائبينْ عني بعد التلف ، وفي طلب ذلك ما فيه من شغل القلب المحب للتفرّد .

ثم إني أروم الاستمتاع بالمستحسنات ، وفي ذلك امتناع من جهة قلة المال ثمّ لو حصل فرّق جمع الهمة . . .

وكل ذلك جَمْعٌ بين أضداد . . . فواقلقي من طلب قيام الليل وتحقيق الورع مع إعادة العلم ، وشغل القلب بالتصانيف . . . وواسفي على ما يفوتني من المناجاة بالخلوة مع ملاقاة الناس وتعليمهم ، ويا كدر الورع مع طلبٍ لا بد منه للعائلة ، غير أني قد استسلمت لتعذيبي ولعلّ تهذيبي في تعذيبي ، وإن بلغ همي مراده وإلّا فنيّة المؤمن خير من عمله »[2] .

* * *

---

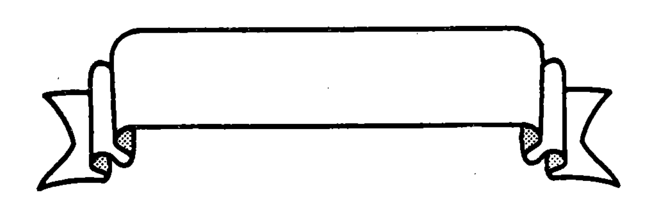
(١) أي الكتب والأولاد .

(٢) « صيد الخاطر » ٢١٦ ـ ٢١٧ .

وللتدليل على أهمية هذا الأمر ـ أمر التوازن بين النّوازع المختلفة ـ فإني أذكر حال واحد من إخواني الصالحين ، فقد كان داعية نشطاً ولكنه كان يعاني من عدم استطاعته التوفيقَ والتوازن بين نوازعه ؛ فقد كان يقوم الليل ويكثر من التعبد أياماً كثيرة حتى إذا فطن أنه قد قصّر في حق الدعوة ترك التعبد وانغمس في العمل الدعويّ بنشاط عظيم ، ثم إذا فطن أنه قد قصّر في حقوق أهله وأقاربه ترك كل ما مضى وجعل يهتم بأهله وأبنائه، فنصحته وبعضُ إخواني بالاتزان فلم ينتصح فنتج عن ذلك أنه ترك الالتزام كلية بعد شعوره بالضعف وعدم القدرة على التوفيق ، ثمّ منّ الله عليه بالتوبة والرجوع والحمد لله ، نعم هذا مرض نادر ولكنّه يحدث في صفوف الدعاة بدرجات مختلفة الحدة ، عافاني الله وإياكم .

وحال عرضي لهذه النّوازع سوف أذكر أموراً تضبطها وأقوالاً للسلف حولها ، وأذكر أيضاً كيفية تحقيق

التـوازن فيها خاصة ، وكيفية التوفيق بينها وبين بعض النـوازع الأخـرى ، وقد أرجىء ذكر تفصيل ذلك إلى المبحث الأخير - إن شاء الله تعالىٰ - وهو « التوازن بين النوازع » . ■



٢

المبحث الثاني

النوازع : ذكرها وبيانها

النازع الأوّل : طلب العلم الشرعيّ

هذا النازع قويّ متجذِّر في نفوس كثير من الملتزمين بالإسلام ؛ وذلك لما ورد من نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تنوِّه بطالب العلم وتذكر عِظم أجره وفضله .

والعلماء العاملون سبب لهداية الناس ، وهم الذين يجددون الدين وينقّونه ممّا عَلِق به ، ويصححون مفاهيم العامّة وآراءهم ، وهم الذين يُستشفى بحديثهم ويتنزل نصر الله بسببهم .

وإذا علم الأخ المسلم فضل العلم والعلماء دعته نفسه ليكون منهم فيفوز بما فازوا به من الأجر والفضل ، ولكنّه

لا بدّ له أن يعلم الآتي :

١ ـ لا يحسن به ولا يجمل أن يترك دراسته للفنون والصناعات ـ إن كان من المتخصصين فيها والدارسين لها ـ ليطلب العلم الشرعي الكِفائيّ ، فإنّ هذه الفنون والصِّناعات ـ من طب وهندسة وفيزياء وكيمياء وغيرها ـ سببٌ من أسباب سعادة الأمّة وفوزها على أعدائها المتربصين بها ، وترك المسلمين لها يزيدهم وهناً على وهن ، وقد يصيبُ التاركَ لهذه الفنون إثمٌ لأنها ـ اليوم ـ من فروض الكفاية ومن أصول الرِّيادة .

٢ ـ لم تكن للصناعات والفنون في عهد السلف هذه المنزلة التي لها اليوم ، فلا يصح أن نقارن ما عليه السلف بما نحن عليه ، فقوة الأمم ـ اليوم ـ تقاس بما هم عليه من التقدم التِّقَني والعلميّ .

٣ ـ كان السلف حريصين على هذه الفنون والصناعات ـ رغم بدائيتها في عصرهم ـ فكثير من علمائهم اشتقت

ألقابهم من الصناعات التي يزاولونها ، فهناك القفّال ، والشاشيّ ، والحدّاد ، والزجّاج ، والفرّاء ، والخيّاط ، والسرّاج ، والحذّاء ، وغيرهم من علماء السلف وأعلامهم .

٤ ـ قد عاب بعض السلف تضييع بعض الفنون والصناعات ، فهذا الشافعي رجل يقول فيما نقله عنه الربيع : « لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطبِّ إلّا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه »[1] . وقال حرملة : «كان الشافعي يتلهّف على ما ضيع المسلمون من الطب ويقول: ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى»[2] . يقول هذا في زمانه فكيف في زماننا؟! .

٥ ـ قد سَهُل عند بعض السلف الجمع بين الصناعات والفنون وبين طلب العلم الشرعي ، ولكنّا اليوم يصعب علينا بل قد يعسُر فعل هذا ، فطلبك

(١ ، ٢) « نزهة الفضلاء » : ٢ / ٧٣٨ .

للعلم الشرعيّ من مظانّـه يعني أنك لا بد أن تلتحق بكلية من الكليات الشرعية أو تطلب العلم على شيخ ، والأوّل صعب المنـــال إن كان الشخص مشغـولاً بفنـه وبصنـاعته ، والثاني من أصعب الأمور ؛ إذ هاتِ لي شيخاً يصبر على تدريس الطالب أوّليات العلوم ومبادئها ثم يتـدرج معه حتى يكمل ويفقه ، فالمشايخ ـ اليوم ـ يعتذرون لطالب العلم بالانشغال وعدم القدرة ، وبين كثـير منهم وبـين الشباب فجوة سحيقة ؛ إذ لا يوصل إليهم ـ غالبـاً ـ إلا بشق الأنفس ، وإذا وصلت إليهم وجـدت من الصِّعاب والعقبات عند الشيخ ما يفقدك الرغبة في طلب العلم عليه .

هذا ما حدا بكثير من الشباب إلى طلب العلم من الكتب والتفقه بغير شيخ فظنّوا أنهم قد علموا والحقيقة أنــه بينهم وبـين العلم مفـاوز ؛ إذ هم من الفضـلاء المطّلعين ولا يصح وصفهم بأكثر من هذا .

فإذا فهمت الأمور الخمسة الماضية فاعلم أنك إن لم

تستطع تحصيل العلم الشرعي على الوجه المطلوب فقد يعوضك الله بفنّ وبصناعة تكفي بها الأمة الذل والهوان ، وتكون ممّن رُفع عند الله درجات أعلى وأعظم من كثير من العلماء المتقاعسين الذين لم يجمعوا بين العلم والعمل :

« أين فينا من يساهم ابتداءً في العمل على رقي المسلمين وتحررهم ووحدتهم إسهاماً يجسد ما يريد الإسلام من أبنائه ؛ أن يكونوا عباداً بررة وصناعاً مهرة ، رهباناً بليل وفرساناً بنهار ، دعاة إلى إنارة القلوب بالذكر وسعاة إلى إزالة الظلمة والجوع والمرض والفقر بالتقدم ، يريدهم أن يكونوا هم المتفوقين دوماً في كل علم وصنعة لا عالة على أهل البحوث والدراسات والصناعات ، وهم المخترعين المبدعين المبتكرين في كل فن وميدان لا المستوردين المستهلكين دون تقصٍّ أو انتقاء لكل جديد مُبتدَع ، وهم الذين يصنعون التاريخ لا الذين يقرؤون

أحداثه فحسب »[١] .

ومن الأمور التي يجب أن تُعرف أنه لا بد لمزاول صناعة أو مهنة أن يكون له إلمام بالأحكام الشرعيّة اللازمة لصناعته ومهنته وفنه ، فالطبيب ـ مثلاً ـ عليه أن يعرف الحكم الشرعيّ في الاطلاع على عورة مرضاه ومتى يجوز له ذلك ومتى يُحظر عليه ، وحكم التشريح ، وحكم الإجهاض إلخ . . .

والإعلاميّ عليه أن يعرف ما الذي يحل له بثّه وإذاعته بين الناس وما لا يحل له ، وما هي الضوابط الشرعية لبثّ ما يملك من معلومات وأخبار ؟ ويجب أن يعرف أيضاً كيفية التثبت من الأخبار شرعاً حتّى يكون في مأمن من تشويش الناس وإقلاقهم أو تطمينهم وتهدئتهم بدون وجه حقٍّ كما يحصل اليوم كثيراً .

---

(١) « الرائد » : ١٢ ـ ١٣ .

وهذا الأمر ينسحب على أصحاب المهن الأخرى من صيدلة وهندسة وتجارة وصناعة . إلخ . . .

ومما هو معلوم أنه يجب على الشخص ـ أيّاً كانت صنعته ـ تعلم فروض العين وفروض الكفاية ولا يعذر بجهل هذه الأمور ، وكذلك يحسن به أن يعرف الضرورات والحاجيات والتحسينات حتى يستطيع فهم واقعه على ما هو عليه .

جوانب التوازن في طلب العلم الشرعيّ

ثم إن وفّق الله المسلم لطلب المزيد من العلم فعليه بالآتي ليتوازن في طلبه للعلم فلا يطغى جانب على جانب :

أ ـ التوازن في طلب العلوم المختلفة وتفضيل بعضها على بعض :

قال الإمام يحيى بن عمّار السجستانيّ : « العلوم خمسة : علم هو حياة الدين وهو علم التوحيد ، وعلم هو قوت الدين وهو العظة والذكر ، وعلم هو دواء الدين وهو الفقه ، وعلم هو داء الدين وهو أخبار ما وقع بين السلف ، وعلم هو هلاك الدين وهو علم الكلام »[١] .

وقيل لمالك : « ما تقول في طلب العلم ؟ قال : حسن جميل ، ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى أن تمسي فالزمه »[٢] .

وعلى طالب التفصيل الرجوع إلى الكتب التي تتحدث عن طرق طلب العلم ومراتب العلوم[٣] .

---

(١) « نزهة الفضلاء » : ٣ / ١٢٣١ .

(٢) المصدر السابق : ٢ / ٦٢١ .

(٣) من تلك الكتب : «تذكرة السامع والمتكلم» للشيخ ابن جماعة رحمه الله ، و«تعليم المتعلم طرق التعلم» لبرهان الدين الزَّرْنُوجي ، و«الحث على طلب العلم» لأبي هلال العسكري ، وغيرها .

ب ـ التوازن بين طلب العلم وطلب ترقيق القلب

وهذا من أهم المهمات، فقد حثّ عليه السلف كثيراً وحذروا من تركه والتفريط فيه؛ لأن الشخص حال انشغاله في طلب العلم قد ينسى هذا الأمر المهم، فهذا محمد بن عبادة المعافري يحدث أنه وصحبه كانوا عند أبي شريح المعافريّ رحمه الله «فكثرت المسائل فقال: قد دَرِنت[1] قلوبكم، فقوموا إلى خالد بن حميد المهري استَقِلُّوا[2] قلوبكم وتعلموا هذه الرغائب والرقائق فإنّها تجدد العبادة، وتورث الزهادة، وتجرّ الصداقة وأقلّوا المسائل فإنها في غير ما نزل تقسيٍّ القلب وتورث العداوة»[3].

وقال شعبة: «إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وعن صلة الرحم فهل أنتم منتهون»[4]

---

(١) وَسِخَتْ.

(٢) استبدلوا.

(٣) المصدر السابق: ١ / ٥٧٩ ـ ٥٨٠.

(٤) المصدر السابق: ١ / ٥٨١.

يعني أن كثرةَ الحديث قد تؤدي إلى ما ذكره إذا لم يجمع بينه وبين قراءة الرقائق والمرغبات والمزهِّدات .

وذُكر معروف الكَرخي عند الإمام أحمد ، فقيل : قصير العلم ، فقال : أَمسِك ، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف[١] .

وذكر ابن الجوزيّ ـ رحمه الله ـ أمر الموازنة بين العلم وطلب ترقيق القلب فقال : « تأملت العلم والميل إليه والتشاغل به فإذا هو يقوي القلب قوة يميل به إلى نوع قساوة ، ولولا قوة القلب وطول الأمل لم يقع التشاغل به ، فإني أكتب الحديث أرجو أن أرويه وأبتدىء بالتصنيف أرجو أن أتمه فإذا تأملت إلى باب المعاملات[٢] قلّ الأمل ، ورقّ القلب وجاءت الدموع ، وطابت المناجاة ، وغشيت السكينة . . . إلا أن العلم

---

(١) المصدر السابق : ٢ / ٧١٤ .

(٢) أي المعاملات القلبية مع الله تبارك وتعالى .

أفضل وأقوى حجة وأعلى رتبة وإن حدث منه ما شكوت منه[١] ، والمعاملة وإن كثرت الفوائد التي أشرت إليها منها فإنها قريبة إلى أحوال الجبان الكسلان الذي قد اقتنع بصلاح نفسه عن هداية غيره وانفرد بعزلته عن اجتذاب الخلق إلى ربهم ، فالصواب العكوف على العلم مع تلذيع[٢] النفس بأسباب المرقّقات تلذيعاً لا يقدح في كمال التشاغل بالعلم »[٣] .

وقول الإمام ابن الجوزيّ : «فالصواب العكوف على العلم مع تلذيع النفس بأسباب المرققات . . . » يُعد من القواعد الجامعة المُثلى في هذا الباب .

جـ ـ التوازن بين طلب العلم وحقوق الأهل والأولاد قدر الإمكان ؛ إذ أن حب طالب العلم للعلم أعظم من حب الناس للمال والنساء ، وطالب العلم إن لم يوازن

---

(١) أي نوع من قسوة القلب .

(٢) اللذع : الإيلام والإحراق «ترتيب القاموس المحيط» (ل د ع) .

(٣) «صيد الخاطر» : ١٤١ .

بين الحقوق المختلفة يضعف عن إكمال مسيرته .

وقد يقول قائل إنْ السلف كانوا يطلبون العلم ولا يفكرون في غيره من الأمور المذكورة ، وأقول لمن يقول ذلك : هات نساءً كنساء السلف ، وهات معيشة كمعيشتهم ثمّ يصح لك بعد ذلك قياسك .

وهاك أمثلةً توضح مدى انشغال طالب العلم به ؛ فقد قال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى : « لا تدخل هذه المحابر بيت رجل إلا أشقى أهله وولده »[١] أي أشقاهم بكثرة انشغاله عنهم ، وانشغاله عن طلب الرزق .

وسأل ـ رحمه الله ـ رجلاً : «ما حرفتك»؟ قال : طلب الحديث، فقال له: «بشِّر أهلك بالإفلاس»[٢] أي أنه لأجل حرفته هذه لن يطلب عملاً دنيوياً يُغني به أهله .

وقالت بنت أخت الزبير بن بكار لزوجه : « خالي خير رجل لأهله لا يتخذ ضَرَّةً ولا سُرِّيّة ، فقالت المرأة : والله

(١ ، ٢) « نزهة الفضلاء » : ٢ / ٦٧١ .

هذه الكتب أشدّ عليّ من ثلاث ضرائر »[١] .

د ـ التوازن بين طلب العلم وفعل التطوّعات :

يقول الذهبي رحمه الله ـ شارحاً المراد :

« هذه مسألة مختلف فيها : هل طلب العلم أفضل أو صلاة النافلة والتلاوة والذكر ؟ فأمّا من كان مخلصاً لله في طلب العلم وذهنه جيِّد فالعلم أولى ولكن مع حظٍّ من صلاة وتعبد ، فإن رأيته مجداً في طلب العلم لا حظّ له في القربات فهذا كسلان مهين وليس هو بصادق في حسن نيته ، وأما من كان طلبه الحديثَ والفقهَ غِيَّةً ومحبة نفسانيّة فالعبادة في حقّه أفضل بل ما بينها أفعل تفضيل ، وهذا تقسيم في الجملة ، فقَلَّ ـ والله ـ من رأيته مخلصاً في طلب العلم »[٢] .

وقال في موضع آخر معلقاً على قول ابن المبارك : « ما

(١) المصدر السابق : ٢ / ٨٩٢ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٥٧٨ .

رأيت أحــداً ارتفـع مثـل مالـك ليس له كثـير صلاة ولا صيام إلاّ أن تكون له سريرة » فقال رحمه الله : « ما كان عليه من العلم ونشره أفضـــل من نوافـل الصـوم والصلاة لمن أراد به الله »[١] .

فحـاصـل كلام الإمام الذهبيّ رحمه الله تعالى هو وجـوب التوازن بين العلم والعبادات التطوّعيّة لتحقيق الكمال المنشود ، وإن كان ـ أي الذهبيّ ـ يفضل العلم على النوافل مثل كثير من السلف .

هـ ـ التـوازن بين طلب العلم الشرعي وبين طلب الثقافة الإسلامية والواقعيّة :

كثـير من إخـواننـا الصـالحين المعتكفين على العلم الشرعيّ قد قصروا أنفسهم عليه أو على جانب منه ولم يهتمـوا بما يُثـري ثقافتهم الإسلامية أو بمعرفة واقعهم

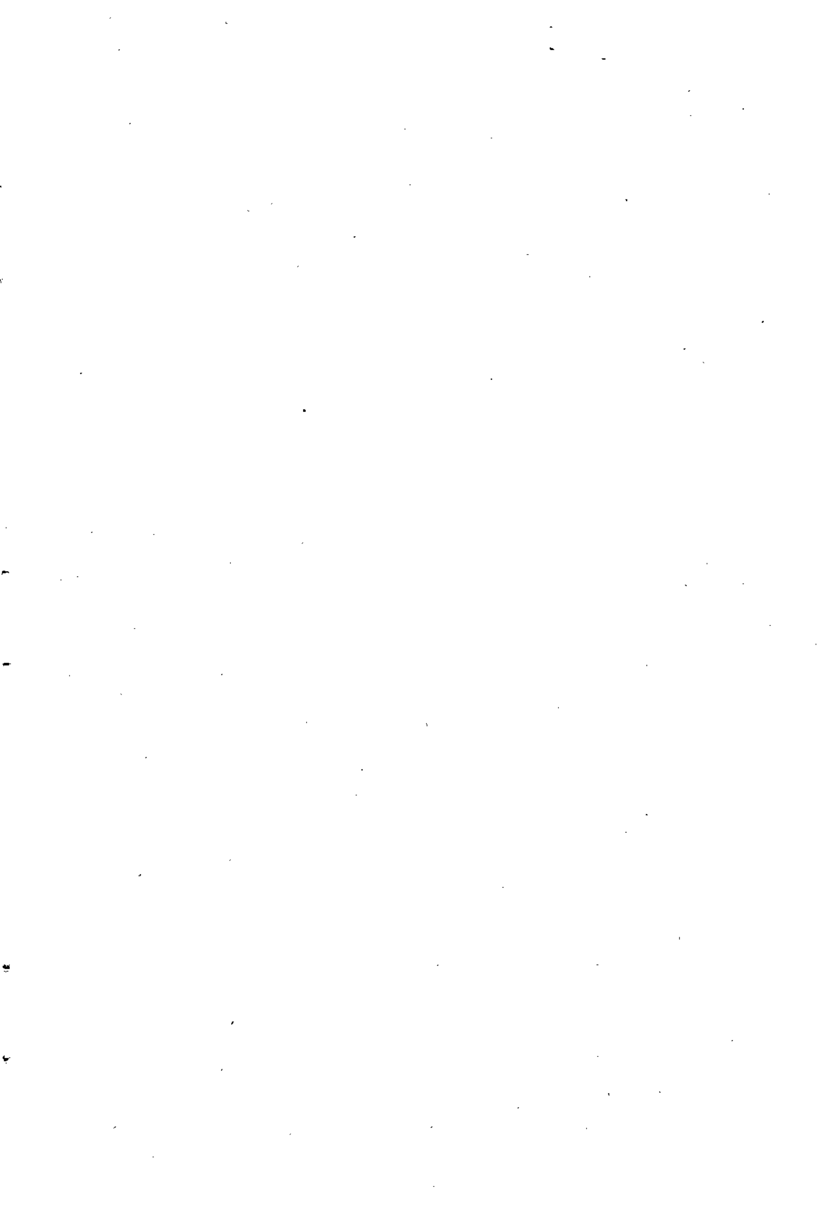
---

(١) المصدر السابق : ٢ / ٦٢١ ـ ٦٢٢ .

الـذي يعيشـونـه ؛ فترى كثيراً منهم لا يفقهون أحوال إخـوانـهـم المسلمـين ولا يهتمـون بما آل إليه حال الأقليات ، ولا يطّلعـون على شبهـات الكـافـرين والضالين . إلخ . . . وهذا الأمر ـ لا شكّ ـ عيب في العالم أو طالب العلم المتصدر لإرشاد الناس ؛ إذ معرفة أحـوال الناس أمر لا غنى عنه لفهم مشاكلهم والعمل على حلّها .

هذه بعض جوانب التوازن في طلب العلم التي لا مناص لطالب العلم من مراعاتها حتى لا يضل الطريق السويّ أو ينقطع ■





النّازع الثاني : كثرة العبادة

رغبة كل مسلم ملتزم بدينه أن يكون عظيم العبادة ، كثير الأوراد ، متقرباً إلى الله تعالى بشتّى الطاعات البدنيّة حتى يفوز في الآخرة بالمنزلة العظيمة والدرجة الرفيعة .

وأشد ما يكون شوقه إلى الإكثار من العبادة حين يقرأ أو يسمع أخبار السّلف وعبادتهم ؛ فهذا سُهيل بن عمرو - رضي الله عنه - قد كان « كثير الصلاة والصوم والصدقة ، خرج بجماعته إلى الشام مجاهداً ، ويقال إنه صام وتهجّد حتى شحب لونه وتغيّر ، وكان كثير البكاء

إذا سمع القرآن »[١] .

وهـذا أنس بن عياض يحـدث أنه رأى صفوان بن سليم ـ أحـــد أئمـــة التـابعـين ـ « لو قيل له : « غداً القيامة » ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة »[٢] .

وهذا هنّاد بن السَّرِيّ يحدث عنه أحمد بن سلمة النيسابوري الحافظ بأنه كان « كثير البكاء ، فرغ يوماً من القراءة لنا ، فتوضأ وجاء إلى المسجد فصلى إلى الزّوال ، وأنا معه في المسجد ، ثم رجع إلى منزله ، فتوضأ وجاء فصلى بنا الظهر ، وأخذ يقرأ في المصحف حتى صلّى المغرب . فقلت لبعض جيرانه : ما أصبره على العبادة ، فقال : هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة فكيف لو رأيت عبادته بالليل »[٣] .

---

(١) « نزهة الفضلاء » : ١ / ٣٤ ـ ٣٥ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٤٩٨ .

(٣) المصدر السابق : ٢ / ٨٤٧ ـ ٨٤٨ .

هذه بعض الأمثلة من عبادة السلف ، إذ لو أكثرتُ لأتيت بالعجب العُجاب ، فهذه الأخبار وغيرها عندما يقرأها المسلم أو يسمعها يتفطر قلبه ويتمنّى أن لو عبد الله مثلهم ، ولكنّه يصدم بواقعه فهو يعمل من الصباح الباكر حتّى العصر ـ هذا إن كان ممن اقتصر على عمل واحد ، أو زمان واحدٍ للعمل ، فكيف بمن يعمل مرتين في اليوم صباحاً ومساءً ـ ثمّ عندما يعود إلى منزله إمّا أن يخلد إلى الرّاحة أو يقضي حوائجه وحوائج أهله ، ثم قد ينظر في بعض أموره فينتهي يومه وهو في عمل متصل ، حتى إذا جاء المساء احتاج لقضاء بعض الوقت في الدعوة أو في شأن آخر ثم يخلد إلى الراحة ليستيقظ فجراً ، وهكذا دَوَالَيْك ، فماذا يصنع وكيف يصل إلى ما وصل إليه القوم ؟

لبيان ذلك لا بد من توضيح الآتي حتى لا يصاب

الشخص بإحباط أو يكذب هذه الأخبار فيرتكب ما لا يسوغ :

١ ـ لم يكن السلف يعملون أغلب أوقات نهارهم كما نفعل الآن ، بل كان جُلّهم إذا كسب ما يقوته اكتفى به ، فهذا عتبة الغلام ـ من نسّاك أهل البصرة ـ « كان رأس ماله فلساً يشتري به خُوصاً يعمله ويبيعه بثلاثة فلوس فيتصدق بفلس ويتعشى بفلس وفلس رأس ماله »[١] .

وهذا شيخ الإسلام حماد بن سلمة إذا ربح في ثوب حبة أو حبتين لم يبع شيئاً[٢] .

فهذه الصورة لكسب الرزق لم تعُد سائغة اليوم

(١) المصدر السابق : ١ / ٥٦٤ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٦٠٣ .

ولا هي مطلوبة ـ أيضاً ـ في زمانا هذا الذي نريد الإمساك بزمام الأمر فيه .

٢ ـ كانت عندهم بركة في الوقت تكاد تكون معدومة في عصرنا ، وما ذاك ـ والله أعلم ـ إلا بإخلاصهم وكثرة تحريهم للحلال .

٣ ـ لم تكن الحياة بنحو هذا العسر الذي نعيشه الآن ، فالأماكن كانت متقاربة والعيش سهلٌ، ولكن انظر إذا تعطلت سيارة الشخص مثلاً كيف يعسُر عيشه ، أو إذا خرب شيء في منزله فكيف يتنغص ويمكث أيّاماً من أجل إصلاحه ، وهكذا . . . .

٤ ـ لم تكن هناك كثير من الأمور المزعجة لنا الآن ؛ إذ هاجس الشخص الملتزم ـ اليوم ـ هو تربية أولاده فيحتاج إلى مراعاتهم وقضاء كثير من الوقت في إصلاحهم بينما لم يكن ذلك كذلك عند السلف ؛ وذلك لنقاء حياتهم وصفائها وخلوّها من كثير من أسباب الفساد

في هذا العصر .

وهـاجس آخـر ـ كذلـك ـ هو توفير أسباب العيش الكريم لهم ، فقد ضاقت أرزاق كثير من الناس في كثير من البلاد على وجه لم يكن معروفاً عند سلفنا ، وكذلك كانوا يقنعون بالرزق اليسير ممّا لا يقنع أبناء العصر بأضعافه .

. وهاجس آخر ، وهو أن الشخص الملتزم في كثير من ديار المسلمين أصبح يفكر كيف يتخفى بإسلامه ودينه عن أعين الغادرين والمتربصين .

والهواجس المزعجات أكثر من أن تُحصر في عصرنا .

٥ ـ تغير نمط الحياة بحيث صار الشخص ـ إلّا من رحم الله ـ يفكـر في مستقبله ووظيفتـه ومـالـه وكذلك مستقبل أولاده ووظائفهم وأموالهم ، ويسعى لهذه الأمور الثلاثة سعياً عظيماً يكاد يغلب كلَّ سعي آخر .

٦ ـ سَعْـيُ الـشـخص المسلم ـ في كثـير من ديار

الإسلام ـ لإقامة دولة الإسلام قد اقتطع كثيراً من وقته ، ولم يعد هناك الوقت الكافي لأن يكثر من العبادة بخلاف أكثر السلف فإنهم كانوا يعيشون في ظل دولة خلافة إسلامية عزيزة مرهوبة الجانب ، قد كفتهم ـ في أكثر الأحيان ـ هذه المؤونة .

جوانب التّوازن في التعبّد

إذا عرفنا هذا كلّه فماذا نصنع لكي نحقق التوازن بين العبادة البدنية وغيرها من العبادات المطلوبة من المسلم كالدعوة ، والتعلم وصلة الرحم ، إلخ . . . ؟

هذه بعض الجوانب المساعدة على هذا ـ في ظني ـ والله أعلم :

أ ـ الأولوية لإقامة الفرائض :

لا بد للشخص المسلم من إقامة الفرائض كاملة غير منقوصة ، ولا يُعذر في ترك شيء منها إلا فيما يعذره

الشرع ، ثم بعد ذلك يأتي بأنواع من الطاعات حسب قدرته وفراغه .

ب ـ فعل بعض التطوّعات أمرٌ لازم لطالب الدرجات العلى :

لا محيص للمسلم ـ إذا أراد الدرجات العُلىٰ ـ من فعل بعض الطاعات البدنية التطوعية بقدر ما يسعفه الزمان ؛ لأن كثيراً من الناس يُعلل نفسه بأنّه يدعو إلى الله أو أنه يتعلم العلم فلا وقت عنده لصلاة تطوع ولا قدرة عنده على صيام نافلة فهذا نسوق له قول الفُضيل ابن عياض رحمه الله تعالى : « إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم كبّلتك خطيئتك »[١] .

جـ ـ العزيمة القويّة :

لا بد للشخص من العزيمة القويّة حتى يستطيع فعل بعض الطاعات ، فهذا أبو مسلم الخولانيّ ـ إمام

---

(١) المصدر السابق : ٢ / ٦٦٥ .

التـابعـين ـ إذا فَتَرَ في العبـادة ضرب ساقـه سوطـاً أو سوطين »[1] ، وأما التراخي والتعلّل فلا يورث إلا حرماناً من القُرُبات ، والله أعلم .

د ـ إقامة الحقوق الأخرى :

لا بد من إقامة الحقوق الأخرى قبل القيام بالعبادات التطوعية وأعني بها حقوق الزوج والأولاد وما يماثلها مّما يتعلق بذمّة الشخص ، فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنـه : « كنت تاجـراً قبـل المبعث ، فلما جاء الإسلام جمعت التجـارة والعبـادة فلم يجتمعـا فتركت التجارة ولزمت العبادة » فقال الذهبي معلقاً على هذا : قلت : الأفضل جمع الأمرين مع الجهاد ، وهذا الذي قاله هو طريق جماعة من السلف ، ولا ريب أن أمزجة الناس تختلف في ذلك ، فبعضهم يقوى على الجمع كالصدِّيق وعبـد الـرحمن بن عوف ، وكـما كان ابن المبارك ،

(١) المصدر السابق : ١ / ٣١٨ ـ ٣١٩ .

وبعضهم يعجز ويقتصر على العبادة ، وبعضهم يقوى في بدايته ثم يعجز وبالعكس وكلٌّ سائغ ولكن لا بد من النهضة بحقوق الزوجة والعيال »[1] .

وأخرج الإمام البخاري رحمه الله بسنده عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه أن رسول الله ﷺ آخى بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مُتَبَذِّلَةً فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا ؛ فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال : كل . قال : فإني صائم . قال : ما أنا بآكل حتى تأكل ، قال : فأكل ، فلمّا كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم . قال : نم ، فنام ، ثم ذهب يقوم فقال : نم ، فلما كان من آخر الليل قال سلمان : قم الآن ، فصلَّيا ، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقًّا ولنفسك عليك حقًّا ولأهلك عليك حقًّا فأعط كل ذي

---

(١) المصدر السابق : ١/ ١٥٧ .

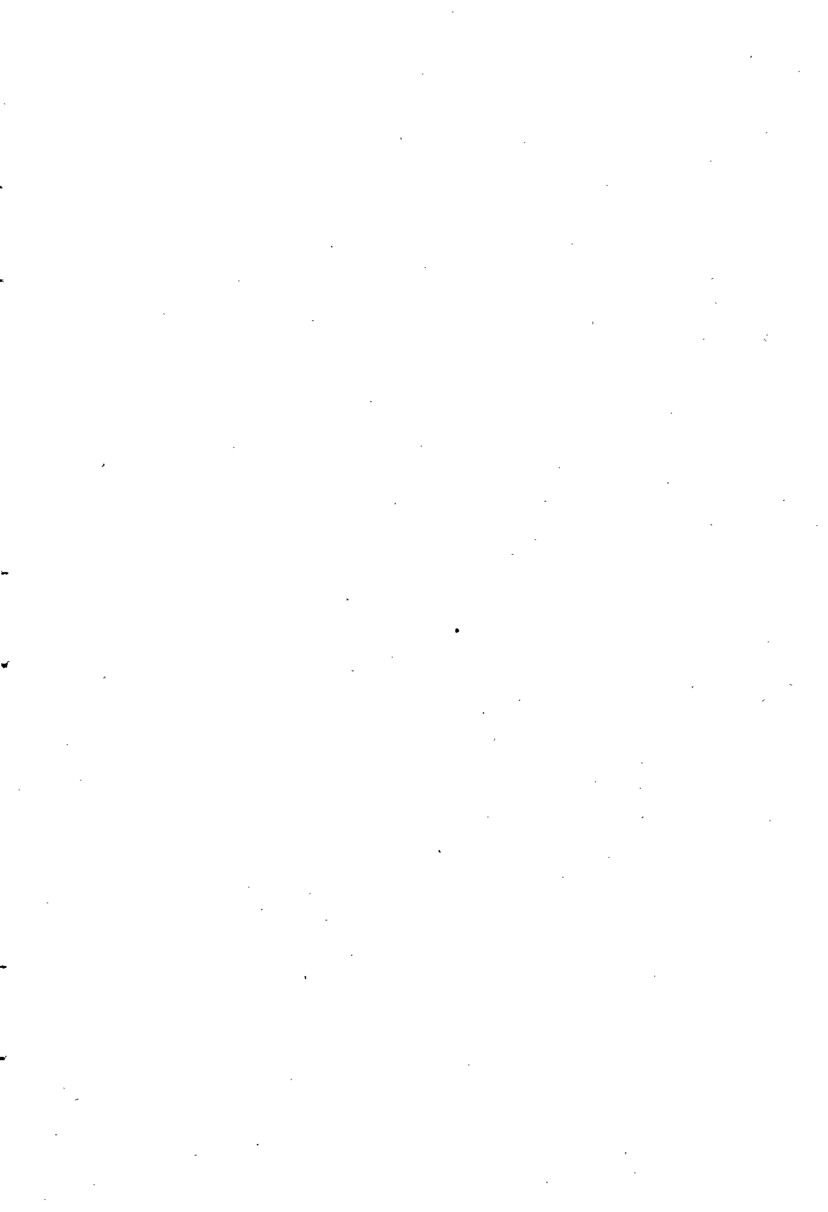
حقَّ حقّه ، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ : صدق سلمان »[1] .

هـ ـ الشمولية في العبادة :

لا بد من الجمع بين التطوعات المختلفة فلا يصلح الاقتصار على العبادات البدنية فقط ، بل هناك عبادات أُخرىٰ يحسن الإتيان بها : فالدعوة ، والتعلم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصلة الرحم كلها من الأمور المهمة بل قد تكون أهمَّ من العبادات التطوعية البدنية ؛ وذلك ـ والله أعلم ـ لأن تلك نفعها متعدٍّ والعبادة البدنيّة نفعها ذاتيّ قاصر على العابد .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الصيام باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع .



النازع الثالث : الدعوة إلى الله تعالى

هذا مطلب لكثير من الملتزمين ، وهو تأديةٌ لحقّ العلم بالدعوة إلى الله تعالى ، وهو أمر واجب في هذا العصر الـذي ضلّ فيه كثـير من النـاس واتّبعـوا أهـواءهم وشهواتهم ، ونكصوا على أعقابهم ونكثوا البيعة مع الله تبارك وتعالى .

وللدعـوة : شروطِهـا ، ووسـائلهـا ، ومقـوماتها ، وآدابهـا رسـائـلُ كثـيرة ، ولكن الذي هو من مطلوب البحث ذكر بعض الأمور التي يتم بها للداعية أمر دعوته من حيث التوازن والاعتدال .

جوانب التوازن في الدعوة

أوّلًا : التوازن بين الدعوة وأداء القربات :

حال خوض الداعية غمار الدعوة لا ينسى أن يوازن بين التقـرّب إلى الله بأداء بعض العبـادات البـدنية

وبين الدعوة كما كان ﷺ يفعل لأن الدعوة بدون قُرَب جفاف ، والقُرَب بدون دعوة تضييع والجمع بينهما حال الأنبياء والرسل .

قال التابعي معاوية بن قُرّة : « من يدلني على رجل بكّاءٍ بالليل بسّام بالنهار »[١] فهو يبكي بين يدي الله تبارك وتعالى حال قيام الليل ، ويضحك في وجوه الناس في النهار تألُّفاً وتحبُّباً .

وقد سُئل أبو أسامة عن الإمامين الكبيرين الفضيل ابن عياض وأبي إسحاق الفزاريّ فأجاب بما يصلح إيراده ها هنا ، إذ قال : « كان فضيلٌ رجل نفسه وكان أبو إسحاق رجل عامّة »[٢] .

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله : « أتمنى أن أكون في الصحاري والبراري كما كنت

---

(١) « نزهة الفضلاء » : ١ /٤٨٢ .

(٢) المصدر السابق: ٢ / ٦٧٩ .

في الأول لا أرى الخلق ولا يروني ، ثم قال : أراد الله مني منفعة الخلق فقد أسلم على يديّ أكثر من خمسمائة ، وتاب على يديّ أكثر من مئة ألف ، وهذا خير كثير »[١] .

ثانياً : عدم الانجراف مع الناس حال دعوتهم :

ولست أقصد أن ينجرف معهم في معاصيهم ؛ لأنّ هذا خارج موضوع البحث ، ولكني أقصد ألّا ينجرف ـ حال دعوة الناس ـ إلى أن يكثر الهَذَر معهم ، ويسترسل في اللغو والمزاح فيفقد تأثيره وبريقه فلا يُقبل بعد ذلك غالب كلامه ، ولله در الشاطبي رحمه الله حيث قال :

هو المجتبى[٢] يغدو على الناس كلهم
قريباً غريباً مستمالاً مؤمّلا

(١) المصدر السابق : ٣ / ١٤٤٧ .

(٢) المُختار. «ترتيب القاموس» : (ج ب ى).

نعم هو قريب منهم بدعـوتـه وغـريب عنهم حال هذرهم ولغوهم .

ولله در الشافعيّ حيث يرشد تلميذه يونس بن عبد الأعلى فيقول : « يا يونس : الانقباض عن النّاس مكسبة للعداوة ، والانبساط إليهم مجلبة لقُرناء السُّوء فكن بين المنقبض والمنبسط »[١] .

وهـذا وهب بن منبه ـ رحمه الله ـ قد جاءه رجل فقال : « قد حدثت نفسي أن لا أخالط النّاس ، قال : لا تفعل ، إنه لا بدّ لك من النّاس ولا بد لهم منك ، ولهم إليك حوائج ولك نحوها ولكن كن فيهم أصمّ سميعاً ، أعمى بصيراً ، سكوتاً نطوقاً »[٢] .

ثالثاً : الإقلال من مخالطة المدعوّين إلا لغرض صحيح :

وهـذا لأن الداعية قد يلتبس عليه الأمر فيخالط

---

(١) « نزهة الفضلاء » : ٢ / ٧٤١ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٤٤٢ .

المدعوّين لسبب وبدون سبب ويكثر من زيارتهم كثرة تفضي به إلى أن تكون زيارته عادة وليست عبادة فيضيع الغرض الصحيح الأوّل من الزيارة ، نعم كثرة الزيارة لغرض صحيح أو لإصلاح مدروس أمرٌ لا غبار عليه بل هو من المندوبات .

قال الحميديّ رحمه الله :

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً
سوى الهَذيان من قيل وقالِ
فأقلل من لقاء الناس إلا
لأخذ العلم أو إصلاح حال

رابعاً : الإقلال من مخالطة الدعاة إلّا لغرض صحيح :

قد يعتاد الداعية زيارة إخوانه الدّعاة كثيراً فيضيع وقته وأوقاتهم ، ويأخذ من وقت المدعوِّين بدون حق ، فيجب على الداعية ألّا يكثر من زيارة إخوانه الدُّعاة إلّا لغرض صحيح من تنسيق في أعمال الخير أو تخطيط

لغزو بعض القلوب الصَّدِئة ونحو ذلك .

ويحسن بالدعاة ألّا يتأثروا من قلة زيارة إخوانهم لهم إذ المعيار هو الأخوّة وتقارب القلوب وليس الدليل على المحبة كثرة الزيارة ؛ فقد جاء يوسف القاضي إلى الإمام إبراهيم الحربي فقال له : يا أبا إسحاق : لو جئناك على مقدار واجب حقِّك لكانت أوقاتنا كلها عندك . فقال : ليس كل غيبة جفوة ، ولا كلّ لقاء مودّة ، وإنّما هو تقارب القلوب »[١] .

خامساً : التوازن في الحرص على الناس :

بعض الدعاة بسبب كثرة مخالطته للناس ومعرفته بمشاكلهم قد يضعف شعوره بمشاكلهم وتجاوبه معها ، وبعض الدعاة على العكس من ذلك يكاد يتمزّق كلّما سمع مشكلة أو رأى منكراً ، والمطلوب التوازن .

---

(١) المصدر السابق : ٢ / ٩٨٢ .

فقد حثّ الله سبحانه وتعالى رسوله الأعظم ﷺ على ألّا يهلك نفسه حسرةً على قومه فقال : ﴿ **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين** ﴾[١] .

وقال سبحانه : ﴿ **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا** ﴾[٢] والبَخْع : الهلاك .

ولكنه قد غلب على الناس في هذه الأزمنة تبلد شعورهم بمشاكل المسلمين، فيا حبّذا أن يتوازن هذا الأمر في الداعية فلا يتأثر تأثراً يفضي به إلى عدم القدرة على العمل وإلى الإحباط واليأس ، ولا يضعف هذا الشعور في نفسه فيتبلد حسه .

كان أويس القَرَنيّ «إذا أمسى تصدّق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب ثمّ قال : اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ، ومن مات عُرياً فلا تؤاخذني به»[٣] .

---

(١) الشعراء : ٣ .

(٢) الكهف : ٦ .

(٣) نزهة الفضلاء : ١ / ٣٢٤ .

وهذا الزاهد أبو عثمان الحيريّ « طلب في مجلسه مالاً لبعض الثُّغور فتأخر ، فتألّم وبكى على رؤوس النّاس فجاءه ابن نُجيد بألفي درهم فدعا له »[١] .

سادساً : التوازن بين كره التصدر والشهرة وبين وجوب قيادة الناس :

الداعية يكره التصدر والشهرة بطبعه لإخلاصه وبعده عن الرياء ، ولكن ماذا يفعل إن تعيّن عليه نصح الجمهور وإرشادهم للحق فإنّه لا ينبغي له الفرار من الميدان بدعوى كراهية الشهرة والتصدّر كما أنه لا ينبغي له طلب الشهرة وإرادة التصدّر لئلا يُجرح إخلاصه .

قال تعالى : ﴿ **واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾[٢] .

---

(١) المصدر السابق : ٢ / ١١٥٨ .

(٢) الفرقان : ٧٤ .

وقال سبحانه حكاية عن سيدنا يوسف عليه السلام : ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾[١] ، فهاتان الآيتان توضحان أن المسلم هو الرائد والدليل ، بل قد ينبغي له طلب هذه الوظيفة الشريفة .

وقد يكون في قلب المتصدر المخلص حبٌّ للشهرة وهو لا يشعر به ولا يريده ولكنه نازع من نوازع النفس الإنسانية لا يؤاخذ عليه إن شاء الله ، فهذا إبراهيم بن أدهم يقول : « ما صدق الله عبدٌ أحبّ الشهرة » ، فيعلق الذهبيّ قائلاً : « علامة المخلص الذي قد يحبّ شهرة ولا يشعر بها أنه إذا عُوتب في ذلك لا يَحْرد ولا يبرىء نفسه بل يعترف ويقول : رحم الله من أهدى إليّ عيوبي ، ولا يكن معجباً بنفسه لا يشعر بعيوبها بل لا يشعر أنه لا يشعر فإن هذا داءٌ مزمن »[٢] .

---

(١) يوسف : ٥٥ . (٢) نزهة الفضلاء : ١ / ٥٩٦

وقد أكثر السلف من التحذير من طلب التصدر وحب الشهرة فهذا شيخ المالكية أبو عثمان ابن الحدّاد يقول : « ما صدّ عن الله مثل طلب المحامد وطلب الرفعة »[١] .

ويقول الذهبي رحمه الله محذراً من حب الشهرة :

« فربما أعجبته نفسه وأحب الظهور فيعاقب . . . فكم رجل نطق بالحق وأمر بالمعروف فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده وحبه للرئاسة الدينية ، فهذا داء خفيٌّ سارٍ في نفوس الفقهاء كما أنه سارٍ في نفوس المنفقين من الأغنياء . . . وهو داء خفيّ سارٍ في نفوس الجند والأمراء والمجاهدين ، فتراهم يلقون العدو ويصطدم الجمعان وفي نفوس المجاهدين مخبّآت وكمائن من الاختيال وإظهار الشجاعة ليُقال[٢] ، والعُجب . . . يضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة وظلم للرعيّة وشرب للمسكر

(١) المصدر السابق : ٢ / ١٠٣٤ .

(٢) أي ليقال عنهم إنهم شجعان .

فأنى ينصرون ؟ وكيف لا يخذلون ؟ . . فمن طلب العلم للعمل كسره العلم ، وبكى على نفسه ، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء تحامق واختال وازدرى بالناس وأهلكه العجب ومقتته الأنفس »[١] .

والذي يحب الصدارة فهو معرّض للذل كما قال أبو الطيب سهل الصعلوكيّ :

« من تَصدّر قبل أوانه فقد تصدّى لهوانه »[٢] .

وكما قال زُفَر بن الهذيل : « من قعد قبل وقته ذلّ »[٣] .

وهذه الأقوال إن انطبقت على محب التصدر والشهرة وعديم الإخلاص ، فلا تنطبق ـ إن شاء الله ـ على داعية

---

(١) نزهة الفضلاء : ٣ / ١٢٧٧ ـ ١٢٧٨ .

(٢) المصدر السابق : ٣ / ١٢١٧ .

(٣) المصدر السابق : ٣ / ٦١٢ .

تصدّر لإرجاع قومه إلى الحق وإلى طريق مستقيم حتى لو شُهر وعرف فلا بأس عليه، إن شاء الله تعالى، وله أسوة بالرسل الكرم فهم أعظم الناس شهرة وكذلك المصلحون والدعاة .

وما أجملَ قولَ الفضيل رحمه الله : « من أحب أن يُذكر لم يذكر ، ومن كره أن يُذكر ذُكر »[1] .

وقد وازن الفضيل هذا الأمر قائلاً : « إن استطعت ألّا تكون محدثاً ولا قارئاً ولا متكلماً[2] ، إن كنت بليغاً قالوا : ما أبلغَه وأحسنَ حديثه وأحسنَ صوته فيعجبك ذلك فتنتفخ ، وإن لم تكن بليغاً ولا حسن الصوت قالوا : ليس يحسن يحدّث وليس صوته بحسن أحزنك ذلك وشق عليك فتكون مرائياً ، وإذا جلست فتكلمت لم تبال من ذمّك ومن مدحك فتكلم »[3] .

---

(١) المصدر السابق : ٢ / ٦٦٥ .

(٢) أي فافعل إن كنت ممن يحب التصدر .

(٣) المصدر السابق .

النازع الرابع : الجهاد في سبيل الله

يطير المسلم شوقاً إلى الجهاد ، وكلّما دعاه الداعي إليه رغب فيه وحنّ إليه ، والجهاد ـ لا شك ـ من أعظم القُرب وأفْعَلِها في النفس وأشدها تأثيراً ، اسمع إلى قوله تعالى : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم** ﴾[١] .

فالذي يسمع هذا النداء العلويّ الجليل لا بد أن يستجيب إن كان في قلبه إيمان .

جوانب التوازن في الجهاد

وللتوازن بين نازع الجهاد وبين النوازع الأخرى من

---

(١) التوبة : ١١١ .

دعوة وتعليم وعبادة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر لا بد من ذكر التالي :

أولاً : العلم والدعوة قد يفضلان الجهاد الكِفائيّ :

قد يكون العلم والتعليم والدعوة أفضل من الجهاد الكِفائي في بعض الأحيان وخاصة في هذا الزمان الذي قد يتصدر فيه للجهاد كثير ولكن المتصدر الحكيم للتعليم والدعوة نادر أشبه بالمفقود ، فالمتصدر الصادق الحكيم للدعوة يفعل في الأمّة ـ أحياناً ـ ما لا يفعله جمع من المجاهدين .

يقول يحيى بن معين : « الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله » فقال له محمد بن يحيى الذهلي : « الرجل ينفق ماله ويتعب نفسه ويجاهد فهذا أفضل منه ؟ قال : نعم ، بكثير »[1] .

---

(١) « نزهة الفضلاء » ٢ / ٧٧٨ .

فهذا رأي يحيى بن معين في ذلك الزمان ؟ فكيف في هذا الزمان الذي قلّ فيه من ينشر العلم ويدعو بصدق وحكمة .

ثانياً : وجوب الاستعداد للجهاد :

من كان الجهاد مفضولاً في حقّه فليس معنى هذا أنه ينسى الاستعداد له نفسيّاً وعقليًّا وبدنيًّا ، بل ينبغي له أن يكثر من ذكره ويتمنّى الشهادة ويرغب فيها بل يجعلها أسمىٰ أمانيه ، ويتحسّر على الجهاد إذا فاته ، فهذا يونس بن عبيد الإمام التابعيّ « نظر إلى قدميه عند الموت وبكى ، فقيل : ما يبكيك أبا عبد الله ؟ قال : قدماي لم تغبرَّ في سبيل الله »[1] .

ولقد كان الكثير من السلف مستعدين للجهاد ،

---

(١) المصدر السابق : ٢ / ٩٠٣ .

فهـذا الإمـام البخاريّ رحمه الله تعالى كان يركب إلى الرمي كثيراً ، وكان لا يُسبق في إصابته الهدف[١] .

وهـذا السلطان الصـالح نور الدين محمود الشهيد « كان يكثر اللعب بالكُرة فأنكر عليه فقير[٢] فكتب إليه : والله ما أقصـد اللعب وإنـما نحن في ثغر فربّـما وقـع الصوت[٣] فتكون الخيل قد أدمنت على الانعطاف والكرِّ والفرّ »[٤] .

وهذا سلطان الموحِّدين يوسف بن عبد المؤمن « أمر العلماء أن يجمعوا أحاديث في الجهاد تُملى على الجند ، وكان هو يملي بنفسه وكبار الموحِّدين يكتبون في ألواحهم »[٥] .

---

(١) المصدر السابق : ٢ / ٩٠٤ .

(٢) أي صوفيّ .

(٣) أي جاء العدوّ .

(٤) المصدر السابق ٣ / ١٤٥٤ .

(٥) المصدر السابق : ٣ / ١٤٧٣ .

وهذا العالم الصالح حَيْوة بن شُريح إمام المصريين قد قال مرّة لبعض نواب مصر : « يا هذا، لا تخلينّ بلادنا من السلاح ، فنحن بين قبط لا ندري متى ينقضّ ، وبين حبشي لا ندري متى يغشانا ، وبين رومي لا ندري متى يحلّ بساحتنا ، وبربري لا ندري متى يثور »[١] .

وأمّا سؤال الله الشهادة ، فقد كان الصالحون يكثرون منه فهذا عتبة الغلام بات عند رياح القيسيّ فسمعه يقول في سجوده : « اللهم احشر عتبة من حواصل الطير وبطون السّباع »[٢] .

وقد غفل كثير من الصالحين عن الاستعداد للجهاد فهم إذا نادى مناديه لا أدري كيف سيستجيبون ولسان حالهم الناطق بالعجز أفصح من مقالهم .

---

(١) المصدر السابق : ١ / ٥٥٣ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٥٦٤ .

ثالثاً : معرفة أنواع الجهاد :

هناك جهاد بالنفس وهو أعلاها مرتبةً ، وهناك جهاد بالمـال وهـو من أعظم الأمور خاصةً في هذا العصر ، وهنـاك جهـاد بالقلم ، وهنـاك جهاد بالدعوة ، وهناك جهاد للنفس ، وغير ذلك ، فمن لم يوفق للجهاد بالبدن فليس أقل من أن يجاهد بماله أو بلسانه لأن هناك قوماً من الصـالحين إذا تخلّف عن الجهاد بالنفس صار إلى حبّ الدنيا والتشبث بها كأنه لا منزلة بين المنزلتين فهو إمّا أن يجاهد بنفسه أو يركن إلى الدنيا ، وهذا غير صحيح فهو إن لم يجاهد بنفسه فلا بدّ أن تكون حياته بين قومه جهاداً حقيقيّاً باللسان وبالحال وبالدعوة وغير ذلك .

وقد غفل كثير من إخواننا الصالحين عن هذا المعنى فهم في ترف ودَعَـة وكأنّه بعدم خروجه للجهاد البدني لعذر ما قد سقط عنه جميع أنواع الجهاد الأخرى .

النازع الخامس : طلب المال

أهميـــة المال :

المجتمع الإسلاميّ ـ اليوم ـ في أمسِّ الحاجة إلى المال ليقيم به حياة إسلامية كريمة ، والمال عصب لكثير من المشاريع الإسلاميّة النافعة ، وكل مناحي العمل الإسلامي في حاجة إليه ؛ إذ هو أساسٌ في الجهاد ، والدعوة ، والإعلام الإسلاميّ ، واللجان الخيرية ، وهيئات الإغاثة . إلخ . . . باختصار هو أساس لا غنى عنه ، فهل يلام المسلم الملتزم إن بحث عنه وجدّ في طلبه للأغراض المذكورة آنفاً ؛ لا ليس عليه لوم ، فقد قال سعيد بن المسيِّب : « لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله يعطي منه حقّه ويكفّ به وجهه عن الناس »[١] .

---

(١) المصدر السابق : ١ / ٣٧٦ .

وقال ابن المنكدر : « نعم العون على تقوى الله الغِنى »[١] .

وقال وهب بن منبِّه : « الدراهم خواتيم الله في الأرض فمن ذهب بخاتم الله قضيت حاجته »[٢] .

وقيل للإمام أبي الزِّناد : « لِمَ تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا ؟ فقال : لأنها وإن أدنتني منها فقد صانتني عنها »[٣] .

وقال الثوريّ : « كان المال فيما مضى يُكره فأمّا اليوم فهو تُرس المؤمن »[٤] .

« ونظر إليه رجل وفي يده (أي سفيان) دنانير ، فقال : يا أبا عبد الله تمسك هذه الدنانير؟ .

---

(١) المصدر السابق : ١ / ٤٩٦ .
(٢) المصدر السابق : ١ / ٤٤١ .
(٣) المصدر السابق : ١ / ٥٠٨ .
(٤) المصدر السابق : ١ / ٥٨٤ .

قال : اسكت ، فلولاها لتمندل بنا الملوك »[١] .

جوانب التوازن في طلب المال

ولتحقيق التوازن في طلبه لا بدّ من تدبّر الآتي :

أولًا : وجوب كونْ المال في اليد لا في القلب :

فإن حب المـــال للمال إذا تمـكّـن في القلب أهلك صاحبه ، فقد قال هشام بن حسّان : سمعت الحسن يحلف بالله : ما أعزّ أحدٌ الدرهم إلا أذلّه الله »[٢] .

ولكي يضمن الأخ الداعية عدم تغير نفسه بكثرة المال فإن عليه أن يستكثر من قراءة سير الصـالحـين الذين جمعوا بين الغنى والأموال الطائلة وبين الزهد والتطلع إلى الآخرة وما عند الله تبارك وتعالى ؛ ومِن أعظم من

---

(١) المصدر السابق : ١ / ٥٨٤ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٤٤٩ .

جمع بين الأمرين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ، إذ أن كثرة مالهما معروفة، وكانا ـ مع ذلك ـ مبشرَيْن بالجنة .

ثانياً : عدم الإغراق في طلب المال :

وهذا أمر خطير ؛ إذ في غمرة حماس الأخ وتطلعه إلى جمع المال قد ينسى دعوته وعبادته فيقسو قلبه وتجف روحه ، وإذا رأيته فكأنك ترىٰ أحد أبناء الدنيا المتكالبين عليها والذين لا يبالون بأمر آخر غير حبها وتفضيلها .

فكم من نفوس زكية خربت ، وكم من صِلاتٍ أخوية متينة تقطعت بسبب التهافت على جمع المال ونسيان الآخرة ، والحوادث أكثر من أن تحصر ، ولكني أضرب ـ لما أقوله ـ ثلاثة أمثلة :

أ ـ أعرف أخاً صالحاً داعية ثقة دخل مضمار الدُنيا ففُتح عليه قليلاً فظن أنه قد فاز، فابتلاه الله تعالى بأمور متعددة نتج عنها قطع صلاته بإخوانه ، وخسرت الدعوة

أخـاً كان من المأمول أن يرتقي بها ويعلي من شأنها ، وخسر هو إخوانه الذين هم رأسماله الحقيقيّ .

وأعرف آخر ، ليس كسابقه ولكنه مسلم مستقيم ، ترك وظيفته لأجل طلب الدنيا التي استدرجته حتى وقع في حبائلها فأصبح الآن يُرثى لحاله إذ هو بعيد عن الله تعالى ، مكروه من الناس ، ممقوت حتى من أقرب أهله إليه ، هذا بخلاف ما اعتاده ـ الآن ـ من كذب وغش وخداع .

ج ـ وأختم بثالث كان نشيطاً في الدعوة محباً لها حينما كان موظفـاً فسوّل له الشيطان ترك الوظيفة والالتحاق بركب التجار وكانت له أعذار في هذا ـ كالعادة ـ فغرق في بحر التجارة شيئاً فشيئاً حتى نسِيَ المعاني العليّة التي كان يدعـو لها وتقهقر نشاطه وفتر عزمه ، وتشوش باله وتفرق قلبه .

هذه بعض أمثلة توضح ما يمكن أن يصيب الأخ

الداعية إذا جرىٰ في المضمار بغير فرس جيد وبغير لجام .

وقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه موضحاً ذلك ـ « أعوذ بالله من تفرقة القلب . قيل : وما تفرقة القلب ؟ قال : أن يُجعل لي في كل واد مال »(١) .

ثالثاً : المسارعة في إنفاقه لوجه الله تعالى :

قد يسوّل الشيطان لأصحاب الأموال جمعها وعدم الإنفاق منها بدعوىٰ استعدادهم لمشاريع أُخَر ، وهذا المنطق قد يجر صاحبه أن يكتنز الأموال فلا يراها المحتاجون الذين كان جَمْعُ هذا المال من أجلهم ، كما هو الظاهر .

نعم قد يقال إن هذا أمر نفسيّ لا يُطّلع عليه ، ولكني أردت أن أحذر إخواني حتى لا يكونوا مثل ذلك الداعية

---

(١) المصدر السابق : ١ / ١٦٠ .

الواعظ الذي كان له جلالة عجيبة وأتباع وأنصار ولكنه لما مات وجدوا له أربعين وعاء مختومة مليئة بالأموال لم يُفك ختمها فقال الذهبي : « كان من كبار المذكرين لكن ما أقبح بالعالم الداعي إلى الله الحرص وجمع المال »[١] .

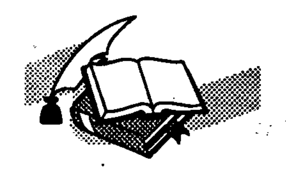
رابعاً : وجوب التخصص في هذا الباب :

وأعني بذلك أنه ليس لكل داعية أو مسلم ملتزم الخوض في جمع المال بغرض الإكثار منه للإنفاق في سبيل الله تعالى ؛ إذ لا بدّ من ضوابط في هذا الباب ، بابِ التجارة ، تحكمه وتوجه العاملين فيه فلا يصح للتفرغ لهذا الأمر داعية قدوة ، ولا غِرٌّ ضعيف لا يفقه حيل السُّوق ، ولا يصلح لهذا أيضاً طَمِعٌ حريص إذا فُتحت عليه الدنيا غرق فيها ، إلخ . . . وأقول هذا

---

(١) المصدر السابق : ٣ / ١٢٣١ .

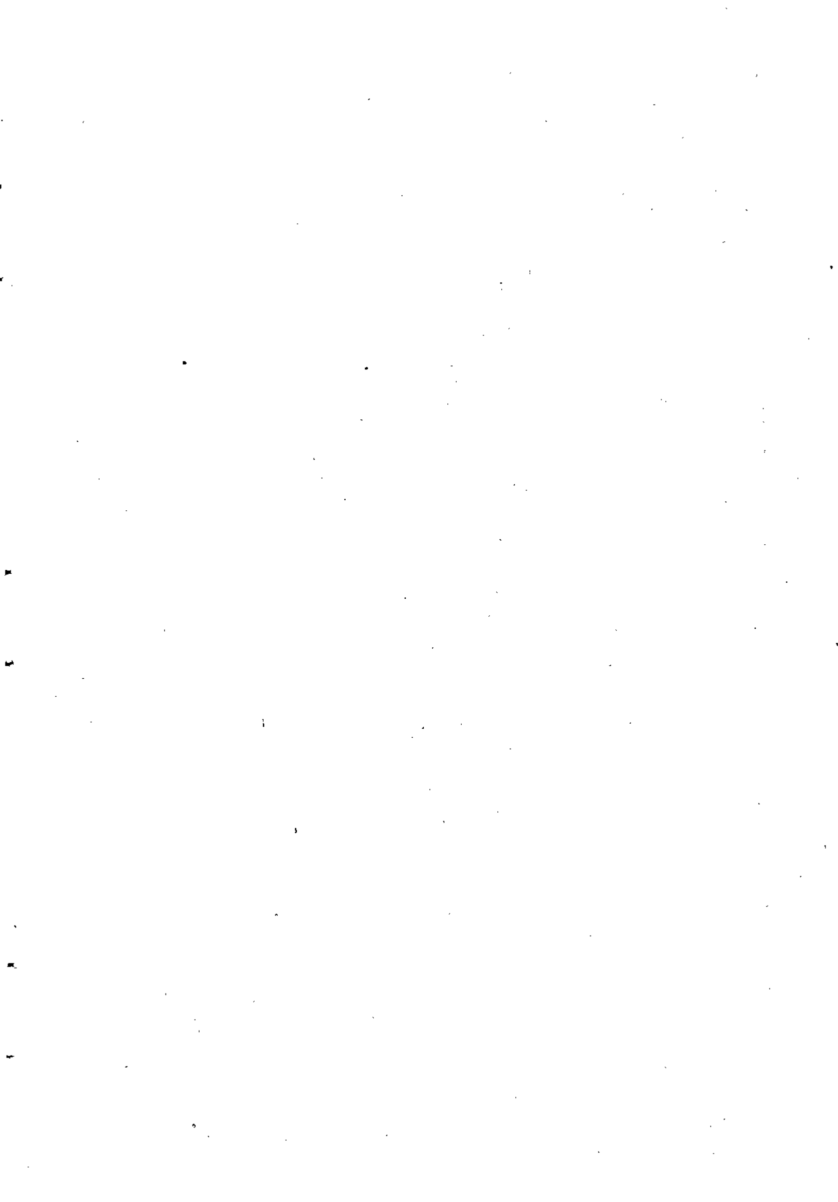
حتى لا يطغى جمع المال ـ بدعوى الإنفاق منه في سبيل الله ـ على غيره من الجوانب المهمة في حياة المسلم فيضيع في تلك الأودية





المبحث الثالث

التوازن بين النوازع



التوازن بين النوازع

قد عرضت في الصفحات الماضية النوازع المختلفة التي تتأجّج في نفس المسلم الغيور ، ووضُحَ بأن تحقيق الاستجابة لنازع أو اثنين أمر قد يكون ميسوراً ولكن كيف السبيل لتحقيقها كلّها أو غالبها فيصير الإنسان قدوة .

وقبل أن أجيب على هذا السؤال هناك سؤال آخر يدور بخلد الكثيرين وهو مدى واقعية هذا المبحث وإمكانية تحققه في هذه الحياة المعقدة كثيرة المطالب .

ولا بدّ قبل الإجابة على هذا السؤال التوضيح بأن

هذا الكتاب كلّه لم يصنف لقاعدي الهمّة أو للمحبَطين اليائسين الذين من صميم عملهم إحباط أي فكرة متفائلة أو على الأقل الغضّ من شأنها ، إنّما وضع هذا الكتاب لمن هو عالي الهمة قويّ الإرادة ترى بريق العزم في عينيه، ويفصح لسانه عن مخبوء صدره وعقله ، فإن كنت من هذا الفريق أو ممن يطمح لأن يكون منهم فواصل القراءة مستعيناً بالله ، وإن كنت من فريق المثبطين فاعزم على فراقهم ، والاستئناس بما ورد في هذا الكتاب في مسيرتك الجديدة ﴿ والله معكم ولن يَتِركم[1] أعمالكم ﴾ . سورة « محمد » ﷺ : ٣٥ .

واقعية هذا المبحث

قد يسأل سائل مستغرباً مستنكراً : هل هذا بحث واقعي يمكن إيجاد أو تحقيق ما يصبو إليه كاتبه ؟!

---

(١) قال صاحب « مختار الصحاح » وَتَرَهُ حقَّه يَتِره ـ بالكسر ـ وتراً، بالكسر أيضاً: نقصه، وقوله تعالى: ﴿ ولن يترِكم أعمالكم ﴾ أي في أعمالكم» انظر « مختار الصحاح » (وتر) .

أو هو مثاليات وكلام مُرسل لا قيد له ولا ضابط ؟ .

ولـلإجابة على هذا السؤال لا بد من بيان أنه حتى يُتحقّق من واقعية هذا الأمـر وإمكانية تطبيقه يُنظر إلى جانبين اثنين :

الأمــر الأوّل : هل حدث مثـل هذا التـوازن بين المتنـازعـات في عصـور السلف الـذين فهموا الإسلام وطبقوه أو حتى فيمن جاء بعدهم ؟!

وأمّا الأمر الآخر : هل يمكن أن يحدث هذا التوازن في هذا الزمان ؟ سواء أحدث في العصر الأول أم لم يحدث ؟!

أمّا الأمر الأوّل فقد تحقّق جزماً في سيرة سيد المرسلين ﷺ فقـد كان ﷺ قويّ الإيمان راسخ اليقين بل أعظم النـاس في هذا ﷺ ، وكان سيد العابدين الزاهدين ، وكان مجاهداً عظيماً وقائداً بطلاً شجاعاً ، كما كان ﷺ خير الناس لأهله وأقاربه ، وهو ﷺ ـ كذلك ـ أعظم

الناس تربية لصحبه وأزواجه وأولاده ، وهكذا لا تكاد تجد جانباً من جوانب التفوق إلا وقد جمعه رسول الله ﷺ وأزواجه على الوجه الأعظم[1] .

وهناك أمثلة أخرى لبعض صحابة رسول الله ﷺ تتفاوت في تحقيق الجمع بين الفضائل والموازنة بينها ولكني أحب بيان حال من جاء بعدهم لشهرة الصحابة ولقلة من يَعرف مَنْ جاء بعدهم .

هناك مثل آخر من عصور السلف وهو الإمام بقيّ بن مخلد محدث الأندلس وعالمها وزاهدها ، وأعرض عليكم سيرته لتعرفوا ما أقصده ، قال الذهبيّ رحمه الله تعالى :

---

(١) هناك كتب كثيرة تكفلت بإبراز جوانب العظمة والتفوّق في شخصية رسولنا الكريم ﷺ مثل كتب السِّيرة وكتب فقه السيرة . وهناك كتب تكلفت بإبراز صفاته ﷺ وتقريرها على الوجه الأتم وهي كثيرة فليرجع إليها للتوسع ، ومن هذه الكتب : « زاد المعاد » ، و« بطل الأبطال » لعبد الرحمٰن عزّام ، و« الرحيق المختوم » للمباركفوري ، وغيرها كثير .

« ذكر أبو عبيدة ، قال : كان بَقيٌّ يختم القرآن كل ليلة ، في ثلاثَ عشرةَ ركعـة ، وكان يصلي بالنَّهار مئةَ ركعـة ، ويصوم الدهر . وكان كثيرَ الجهاد ، فاضِلاً ، يذكر عنه أنه رابط اثنتين وسبعين غَزْوة .

ونقل بعض العلماء من كتابٍ لحفيدِ بَقيٍّ عبدِ الرَّحمنِ بنِ أحمد :

كان جدِّي قد قسَّم أيامَه على أعمال البِرِّ : فكان إذا صلّى الصُّبحَ قرأ حزبه من القرآن في المصحف ، سُدسَ القرآن ، وكان أيضاً يَخْتِم القرآن في الصلاة في كل يوم وليلة ، ويَخْرُج كلَّ ليلةٍ في الثُّلث الأخيرِ إلى مَسْجِده ، فَيَخْتِم قُربَ انْصِداع الفَجر ، وكان يُصلِّي بعد حزبه من المصْحَف صلاةً طويلةً جدّاً ، ثم ينقلب إلى داره ـ وقد اجتمـع في مسجـده الطَّلبة ـ فيجدِّد الوضوء ، ويخرُج إليهم ، فإذا انقضت الـدُّوَل[1] ، صار إلى صومعـة المسجـد ، فيصلي إلى الظهر ، ثم يكون هو المبتدىء

(١) النُّوَب وهي أوقات الطلبة التي يتداولونها بينهم .

بالأذان، ثم يهبط ثم يُسمِعُ[1] إلى العصر، ويصلي ويسمع، وربما خرج في بقية النهار، فيقعد بين القبور يبكي ويعتبر، فإذا غربت الشمس أتى مسجده، ثم يصلي، ويرجع إلى بيته فيفطر، وكان يسرُد الصومَ إلا يوم الجمعة، ويخرج إلى المسجد، فيخرُج إليه جيرانه، فيتكلَّم معهم في دينهم ودنياهم، ثم يصلي العِشاء، ويدخُل بيته، فيحدِّث أهلَه، ثم ينام نومة قد أخذتْها نفسُه، ثم يقومُ. هذا دَأْبُه إلى أن تُوُفِّي. وكان جَلْداً، قويّاً على المشيء، قد مشى مع ضَعِيف في مَظْلَمة إلى إِشبيلِيَة، ومشى مع آخر إلى إِلبِيْرة، ومع امرأة ضعيفةٍ إلى جَيَّان »[2]

هذه هي سيرة الإمام بَقِيّ بن مخلد، يراها كثير من النّاس من ضروب الخيال ويراها الصالحون العاملون فيعلمون أنها ترجمة عملية لحياة بعضهم ولأشواق كثير منهم.

فهو ـ رحمه الله ـ قد عبد الله أحسن ما تكون العبادة

---

(١) أي يُسمع الطلبة.

(٢) مدن أندلسية، وانظر « نزهة الفضلاء » ٢/ ٩٧٥.

ـ ولم ينس تلاميذه وأصحابه فكان يعلمهم ويرشدهم ويوجههم .

ـ ولم يُغفل جيرانه فقد كان يتعهدهم بالنصح والإرشاد .

ـ وكان يتعهد أهله ويحدثهم ويؤانسهم .

ـ ولم يمنعه ذلك كله من الانتصار للمظلومين والسفر من أجلهم حتى لو كان ذلك المظلوم امرأة ضعيفة .

ـ وقد توّج أعماله الصالحة بالجهاد فقد « كان كثير الجهاد ، رابط اثنتين وسبعين غزوة » .

ـ ثمّ إنه قد فهم الشرط الأساسي والمهم لكل تلك الأعمال الصالحة حتى تدخل سجلات الخالدين ألا وهو الدوام والدَّأب عليها .

رحمه الله تعالى فقد كانت شخصيته المثال المطلوب المفقود .

وبهذا المثل ـ وهناك عشرات غيره في التاريخ

الإسلامي ، وإنما ضربته مثالاً لقلة من يعرفه في عصرنا ـ نتبيّن أن هذا الأمر ـ أمر التوازن ـ قد حدث في عصور سلفنا رحمهم الله ، فحدوثه في هذا الزمان ممكن وليس بمستغرب .

وليس على الله بمستغرب   أن يجمع العالم في واحد

وأما الأمر الآخر وهو إمكانية حدوثه في هذا الزمان ففيه توضيح وضوابط :

أما التوضيح في هذا الأمر فهو أن هذا الزمان أصبح من الصعوبة والتعقيد بمكان ، وقد تداعت الأعداء علينا من كل جانب ، وأصبحنا نفاجأ كل يوم بجديد ، وقد قلّت بركة الزمان وكثرت فيه الهموم اليومية والمطالب الدنيوية كثرة عظيمة ، وتباعدت الأمكنة والديار وكثرت شواغل الحياة كثرة قد يصعب معها فعل هذا الأمر ، ولكن هناك ضوابط إن استقامت للشخص يستطيع أن يفكر في مثل هذا ويوفقه الله في تحقيقه .

أسس وضوابط لتحقيق التوازن

تنقسم هذه الأسس والضوابط إلى قسمين :
صفات لا بد من توفرها في الشخص .
وصفات أخرى لا بد من توفرها في بيئته .

فمن الأسس والضوابط اللازم توفرها في بيئة الشخص :

١ ـ الطمأنينة والأمن

وجود المسلم في دولة يقل فيها النزاع بين الناس بعضهم بعضاً وبين الناس وولاتهم بحيث يغلب على أهل البلد الطمأنينة والأمن والاستقرار ، فوجود مثل هذا عامل مهم لتحقيق التوازن المذكور .

٢ ـ الخلوّ من الكدورات والهموم

لا بد من إيجاد مناخ نفسيٍّ ملائم لطالب هذا الأمر بحيث تكون الشواغل عنه بمنأى ، أما من ابتلي بزوجة عَسِرة كثيرة المطالب والهموم ، أو من ابتلي بوالدة أو بوالد لا يريدان فراقه ، أو من كان همّه توفير لقمة العيش حيث إنه في بلد فقير كادح فهذا لا يستطيع أن يحقق المطلوب من هذا البحث ولا بعضه .

٣ ـ انتشار العلم والثقافة

فمن شروط تحصيل هذا المطلوب العزيز وجود الشخص في بيئة علمية وثقافية قوية ؛ لأن قلة العلم والثقافة قتل للإبداع وحصر للفكر وتسببان الرتابة في العمل والانزواء في الأفكار، وليس أدلّ على ذلك من أن علماء الأمة المبدعين كانوا يعيشون في المراكز العلمية والثقافية الكبرى على امتداد التاريخ الإسلامي وذلك في المدينة ودمشق والقاهرة وبغداد ونيسابور وغيرها من المدن .

ومن الأسس والضوابط اللازم توفرها في الشخص

١ ـ الإعداد المبكِّر

اهتمام الشخص منذ الصغر ببعض الجوانب المذكورة في المباحث السابقة أمر مهم فلا يعقل أن يبلغ الشخص مبلغ الرجال ثم يفكر في تحقيق هذه الأمور فقد كان أئمتنا منذ حداثة أسنانهم يطلبون الكمال في كثير من الجوانب الشرعية وغيرها، قد أعدّهم الله للتصدر والرفعة والإمامة منذ صغرهم.

ذكر السخاويّ أن الإمام النوويّ « نشأ في . . . ستر وخير، ولما بلغ من العمر سبع سنين كان نائماً ليلة السابع والعشرين من رمضان بجانب والده . . . فانتبه نحو نصف الليل . . . وقال: يا أبتي ما هذا الضوء الذي قد ملأ الدار، فاستيقظ أهله جميعاً فلم نر كلّنا شيئاً. قال والده فعرفت أنها ليلة القدر[1].

(١) « هذا يدل على عناية الله به، رحمه الله، منذ صغره.

وذكر ولي الله الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي قال : رأيت الشيخ وهو ابن عشر سنين بنوى والصبيان يُكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم ويقرأ القرآن في تلك الحال ، قال : فوقع في قلبي محبته ، وكان قد جعله أبوه في دكان ، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن ، قال : فأتيت معلمه فوصيته به ، وقلت له : إنه يُرجىٰ أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم وينتفع الناس به ، فقال لي : أمنجمٌ أنت ؟ فقلت : لا ، وإنما أنطقني الله بذلك . قال : فذكر المعلم ذلك لوالده فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الحلم »[1] .

وهذا ابن الجوزي رحمه الله تعالى ـ يحكي عن نفسه قائلاً :

« أذكر نفسي ولي همّة عالية وأنا في المكتب ابن ست

(١) « المنهل العذب الرويّ » : ٣٦ ـ ٣٧ .

سنين وأنا قرين الصبيان الكبار ، قد رزقت عقلاً وافراً في الصغر يزيد على عقل الشيوخ ، فما أذكر أني لعبت في طريق مع الصبيان قط ، ولا ضحكت ضحكاً خارجاً ، حتى أني كنت ولي سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة الجامع ، فلا أتخير حلقة مُشعبذ بل أطلب المحدث فيتحدث بالسير فأحفظ جميع ما أسمعه ، وأذهب إلى البيت وأكتبه ، ولقد رفق بي شيخنا أبو الفضل ابن ناصر رحمه الله ، وكان يحملني إلى الشيوخ ، فأسمعني المسند وغيره من الكتب الكبار ، وأنا لا أعلم ما يراد مني[١] . . . ولقد كان الصبيان ينزلون إلى دجلة ويتفرّجون على الجسر وأنا في زمن الصغر آخذ جزءاً وأقعد حُجزة[٢] من الناس إلى جانب الرِّقَّة فأتشاغل بالعلم ، ثم ألهمت الزهد فسردت الصوم

---

(١) أي لصغره .

(٢) أي بعيداً عن الناس .

وتشاغلت بالتقليل من الطعام ، وألزمت نفسي الصبر . . . وعالجت السهر ، ولم أقنع بفنٍّ من العلوم بل كنت أسمع الفقه والوعظ والحديث وأتبع الزهّاد »[١] .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى : « كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج إلى طلب الحديث ، وأقعد على نهر عيسى[٢] ، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء ، فكلما أكلت لقمة شربت عليها وعين همتي لا ترى إلا لذّة تحصيل العلم »[٣] .

وهذا الإمام الكبير سفيان بن عيينة يحدث عن أبيه أنه قال له عندما بلغ سنه خمس عشرة سنة : « إنه قد انقضت عنك شرائع الصّبا فاتبع الخير تكن من أهله ، فجعلت وصية أبي قبلةً أميل إليها ولا أميل عنها[٤] .

---

(١) لفتة الكبد إلى نصيحة الولد ٦١ ـ ٦٧ .

(٢) قال المحقق : في ضواحي بغداد .

(٣) « صيد الخاطر » : ٢١٣ .

(٤) المصدر السابق : ١٦٠ .

وهكذا هي أحوال من أراد الجمع بين فضائل متعددة إذ أنه أقدر على تحصيلها منذ الصغر ، ولا يعني هذا أن الكبير قد فاته جمع الفضائل ، ولكنه يثقل عليه ، ولقد نبغ جماعات من السلف تعلموا على كِبر مثل العز بن عبد السلام والقفال وغيرهما .

٢ ـ النجابة والذكاء :

ظهور لوائح النجابة والذكاء على الشخص عامل مهم في تحقيق هذا الأمر ، أمّا من علم من صفاته العقلية الخَلْقية قصوراً فلا ينبغي له الخوض في مثل هذا ، فرحم الله امرءاً عرف قدر نفسه .

٣ ـ توفّر صفات خَلقيّة وخُلقيّة في الشخص تعينه على هذا المطلوب .

فلا بد من الهمّة وقوة الإرادة ، وكثرة الحركة الفعّالة

المنتجة ، والتفاؤل وانشراح الصّدر ، وسعة الأفق ، والقدرة على استجماع الفكرة ونسيان الكدورات والأحزان ، وكرم الخُلُق ، يقول ابن الجوزيّ رحمه الله : « أول أسباب الكمال تناسب أعضاء البدن وحسن صورة الباطن ، فصورة البدن تسمى خَلْقاً وصورة الباطن تسمّى خُلُقاً ، ودليل كمال صورة البدن حسن السمت واستعمال الأدب ، ودليل [كمال] صورة الباطن حسن الطبائع والأخلاق ، فالطبائع : العفة ، والنزاهة ، والأنفة من الجهل ومباعدة الشره . والأخلاق : الكرم ، والإيثار ، وستر العيوب ، وابتداء المعروف ، والحلم عن الجاهل . فمن رزق هذه الأشياء رقته إلى الكمال وظهر عنه أشرف الخلال ، وإن نقصت خلة أوجبت النقص »[١] .

---

(١) « صيد الخاطر » : ٢٥٥ .

٤ ـ توفر التوازن الذاتي :

كل الضوابط المذكورة مهمة لتحقيق التوازن بين النوازع المختلفة ، ولكنها لا تصلح للتطبيق إن لم يكن عند الشخص توازن ذاتي في شخصيته بحيث يكون مكتمل النضج العقلي والنفسي ، وشخصيته مبنية على دعائم قوية وسليمة بحيث « يجابه أعباء حياته بإرادة قوية وعزيمة ثابتة تمكنه من حسن التكيف ، والتفاعل والاستجابة ، واتخاذ المواقف والاتجاهات الصحيحة حيال كل المشاكل والمعوقات والعراقيل فلا يفقد اتزانه العقلي ولا يختل توازنه النفسي ولا تنهار شخصيته أمام أبسط العقبات والمصاعب »[١] .

ومما يدل على التوازن في شخصية الفرد كذلك « تحمل مسؤولياته في الحياة بقوة وصلابة ، وتكوين مناعة ذاتية ضد الضعف والخَوَر ، وصون النفس من

(١) « أسس التربية الإسلامية » : ٨٤٢ ـ ٨٤٣ .

التقليد والانسياق الأعمى وراء الآخرين والتأثر بسلوكهم وأفعالهم »[١] .

« وكل خلل يلحق بها [أي بالشخصية] يسبب لها الاضطراب والاهتزاز وعدم الاستقرار والثبات ، وهو ما يجعلها غير قادرة على التكيف مع مشاكل الحياة وغير مستعدة لتحمل المصاعب والشدائد ، وغير مؤهلة لمجابهة المتاعب والأزمات التي تكتنف ظروف حياة الكائن البشريّ منذ مهده إلى لحده ، وهو ما يؤدي بالتالي إلى أن تكون شخصيته سلبيّة هروبيّة لا نفع يرجى منها للفرد أو الجماعة ، أو شخصية عدوانية مدمِّرة تلحق بالفرد والجماعة معاً أفدح الأضرار »[١] .

وإن « من لوازم هذا الدين أن يكون المسلم متوازناً في أموره كلها ، معتدلاً في شئونه الخاصة والعامة ، فلا غلو ولا تقصير ، ولا إفراط ولا تفريط ، ولا مبالغة ولا

(١) أسس التربية الإسلامية : ٨٤٢ ـ ٨٤٣ .

(٢) المصدر السابق .

تهاون ، وإنما اعتدال وقصد وتوسط »[١] .

وشخصية الإنسان المسلم « شخصية متوازنة تعطي للجسم حقه من العناية ، وللمظهر ما يستوجبه من الرعاية ، ولا يلهيها هذا المظهر عن المخبر اللائق بالإنسان الذي كرمه الله وأسجد له ملائكته . . . بل تُعنى بما يكوّن فيها العقل الراجح والتفكير السديد ، والمنطق السليم ، والفهم العميق لحقائق الأشياء والنظرة النافذة إلى لبِّ هذه الحقائق وجوهرها ، ولا يعزب عنها أن الإنسان ليس مكوناً من جسم وعقل فحسب وإنما له قلب يخفِق وروح ترفرف ونفس تَهْجِسُ[٢] وأشواق عليا تدفعه إلى الاستعلاء على هذه الحيَاة المادية وحطامها والصعود في معارج الخير والفضيلة والنور ، ومن ثمّ تعنى بالتربية الروحية كما تعنى بالتربية الجسمية والعقلية سواء بسواء في توازن محكم دقيق بحيث لا يطغى جانب من

(١) « بصائر تربوية » : ٢٥ .

(٢) «هجس الشيء صدره يهْجس: خطر بباله، أو هو أن يحدث نفسه في صدره مثلَ الوَسْوَاس » « ترتيب القاموس المحيط » : (هـ ج س) .

هذه الجوانب على آخر »[١] .

٥ ـ الحفاظ على الوقت وعلو الهمّة :

ولا بد كذلك من معرفة القواعد المفصّلة للحفاظ على الوقت ، وعلو الهمة ، والاطلاع على تجارب البارزين في هذا الجانب كابن الجوزيّ والنوويّ والسيوطيّ وغيرهم ، وقد أُلِّف في هذا رسائل عديدة .

٦ ـ التنظيم والترتيب :

لا بد لمريد التوازن أن يكون منظماً مرتباً في شئونه ، بعيداً عن العشوائية والارتجال ، يخطط ويفكر ثم ينفذ ، أما من يُقْدِم ولا يعرف لماذا أقدم وكيف أقدم فهذا لن يحقق شيئاً ذا بال .

ويجب ـ كذلك ـ على المخطط ألا يكون تخطيطه استجابة لنصائح الآخرين أو ردّ فعل لما يشاهده أو يسمعه ولكن عليه أن يخطط طبقاً لما يريد لنفسه أن تكون ، وهذه الإرادة تكوّنت ووضحت معالمها نتيجة دراسة طويلة لقدراته وما يناسبها ، ودراسة الأحوال المحيطة وملائمتها .

---

(١) « شخصية المسلم » : ٣٣٤ .

٧ ـ تنمية الأسس التفكيرية :

فالمرونة الفكرية أو التفكير المنطقي ـ ويقصد بهما تكوين القدرة على حسن المحاكمة والاستدلال ـ والتفكير قبل العمل ، والاتساع في التفكير ، والاستيعاب الكافي للمفاهيم والتصورات بحيث لا ينشأ الفكر مبتوراً أو مشوّهاً أو ناقصاً ، كل هذه أمور مهمة في الأسس التفكيرية كي لا يحدث الضعف في إصدار الأحكام والقرارات[١] .

٨ ـ النظرة الشاملة للحياة :

لا بد لطالب هذا الأمر من « تخليص العقل من التركيز على النظرة الجزئية لأن التركيز عليها يؤدّي إلى آفات عقلية ليس أقلها العجز والانحسار ، كما يؤدي إلى تضخيم دور بعض الفروع والجزئيات الأمر الذي يقتل الإبداع ويصيب قدرة العطاء عند الإنسان ، ويوقع في

---

(١) « الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله » ١٢٥ ـ ١٢٦ بتصرف يسير .

التقليد ويحـرم صاحبه من الإفادة من جهود الاخرين سواء أكـان ذلـك بالتعـامل مع التراث أم بالقدرة على استلهام الكتاب والسنة لمواجهة حاجات العصر المتجددة »[1] .

٩ ـ معرفـة الأولويـات :

معـرفـة الأولـويات وتسلسلهـا في الأهمية ، وإعادة تصنيف المشكلات الخاصة بحيث يُحمىٰ الإنسان من التشتت ويسلم من الإحباط .

وكذلك يجب عليه أن يوازن بين هذه النوازع على حسب سلم الأولـويات ؛ فالمسلم في فلسطين يختلف حاله ونوازعه عن المسلم في البوسنة ، وهو ذو حال مميزة عن المسلم في أفريقية السوداء وهكذا . . . .

---

(١) مقدمة الأستاذ عمر عبيد حسنة لكتاب « الأمة » رقم ٤ : حول إعادة تشكيل العقل المسلم

فإن أذن الله له بالجهاد وتعيّن فلا بد من الجهاد ، وإن كان المسلم في بلد تحتاج إلى العلم الشرعي درَّس وعلم ، أو إلى الدعوة دعا وهكذا الأمر في بقيّة النوازع ، هذا إن لم يستطع الجمع ، أمّا إن استطاع فهذا الضابط مع بقية الضوابط يعينه إن شاء الله .

١٠ ـ عدم الخلط بين الأمنيات والإمكانات :

فالأماني سلم للوصول إلى المطلوب ولكن بقدر فأحلام الأمس حقائق اليوم ، وأحلام اليوم حقائق الغد ، فمن لا يتخيل ويتمنّى فكيف يطيق العيش في هذه الدنيا ذات البلاء والأكدار والأحزان والمعوقات ، ولكن الضابط هو عدم الإكثار من هذه الأماني حتى لا يصاب الشخص بالمثالية ويُنعت بعدم الواقعية .

يقول القرضاوي واصفاً هذا الأمر وأهمية تحققه في حيل النصر المنشود :

« جيل يحتكم إلى الحقائق لا إلى الأوهام ، ولا ينسى وهو يتطلع إلى السماء أنه واقف على الأرض ، فلا يجري وراء خيال كاذب ، أو حلم فارغ ، أو أماني موهومة فيسبح في غير ماء ويطير بغير جناح ، جيل كبير الآمال ولكنه واقعي التفكير ، يرنو إلى شاطىء الأحلام ولكنه يتوقع هياج البحر وغضب الموج ، ومفاجآت الأعاصير . . . لا يحرث في البحر ، ولا يبذر في الصخر ، ولا ينسج خيوطاً من الخيال ، ولا يبني قصوراً من الرمال »[1] .

١١ ـ عدم الاستعجال :

سلوك الطريق بغير استعجال واعتماد سياسة النفس الطويل أساس مهم في تحقيق التوازن المطلوب .

فالطريق ذو الألف من الأميال يبدأ بخطوة ، أما المتعجل الذي يريد جمع كل الفضائل ونفي الرذائل

---

(١) « جيل النصر المنشود » : ٢٢ .

في مدة وجيزة فهـذا لم يفهم السنن الكـونية ولن يطيق الصبر على الطريق الطويل .

نعم إن هنـاك فرقاً عظيماً بين العجلة وبين الحماس والإيجـابية فالحـماس والإيجابية مطلوبان بالقدر الذي يُنفَّر به من العجلة ، ولكن هناك كثير من الناس إن رآك متحمسـاً إيجـابياً متحـركـاً بقـوة رماك بالعجلة وعدم التأني ، وما أوتي إلا من قِبَل رقودِهِ وخموله ، فلو ذاق عرف .

١٢ ـ التفرغ ولو بقدر :

لا بد من أن يكون الشخص الذي يطلب تحقيق مثل هذا الأمر متفرِّغاً له بقدر معقول ، فلا يكون هذا الأمر لشخص يعمل عملين في الصباح والمساء ، أو يكون ممن ابتلاه الله تعالىٰ بأمر المال فهو يجمعه آناء الليل وأطراف النهار ، أو ممن هو ملزم بعمل يومي طويل مثل من يعمل من السابعة إلى الخامسة أو من الثامنة إلى الرابعة أو ما

شابههما ، فمثل هذه الأعمال لا تتيح لصاحبها تحقيق مثل هذا الأمر بل قد لا يفكر فيه إنسان ابتلي بهذا أصلاً .

وانظر إلى الصدِّيق رضي الله عنه كيف أنه عندما تسلم مهام الخلافة فرّغه الصحابة لإدارة شؤونها ولم يقبلوا بأن يعمل أي عمل قد يقتطع من أوقاته الغالية ما تفوت به المصلحة على المسلمين ، وكذلك ينبغي لأي متصدر لمهام عظيمة أن يفرغ نفسه من الأعمال الدنيوية ولو بقدر .

١٣ ـ الإقلال من الاجتماع بالناس ومخالطتهم :

وهذا من أعظم أسس وضوابط تحقيق التوازن المطلوب ، فمن يقضي عامة وقته مخالطاً للناس بغير هدف صحيح ولا غرض صريح فكيف يستطيع أن يحقق بعض ما يصبو إليه .

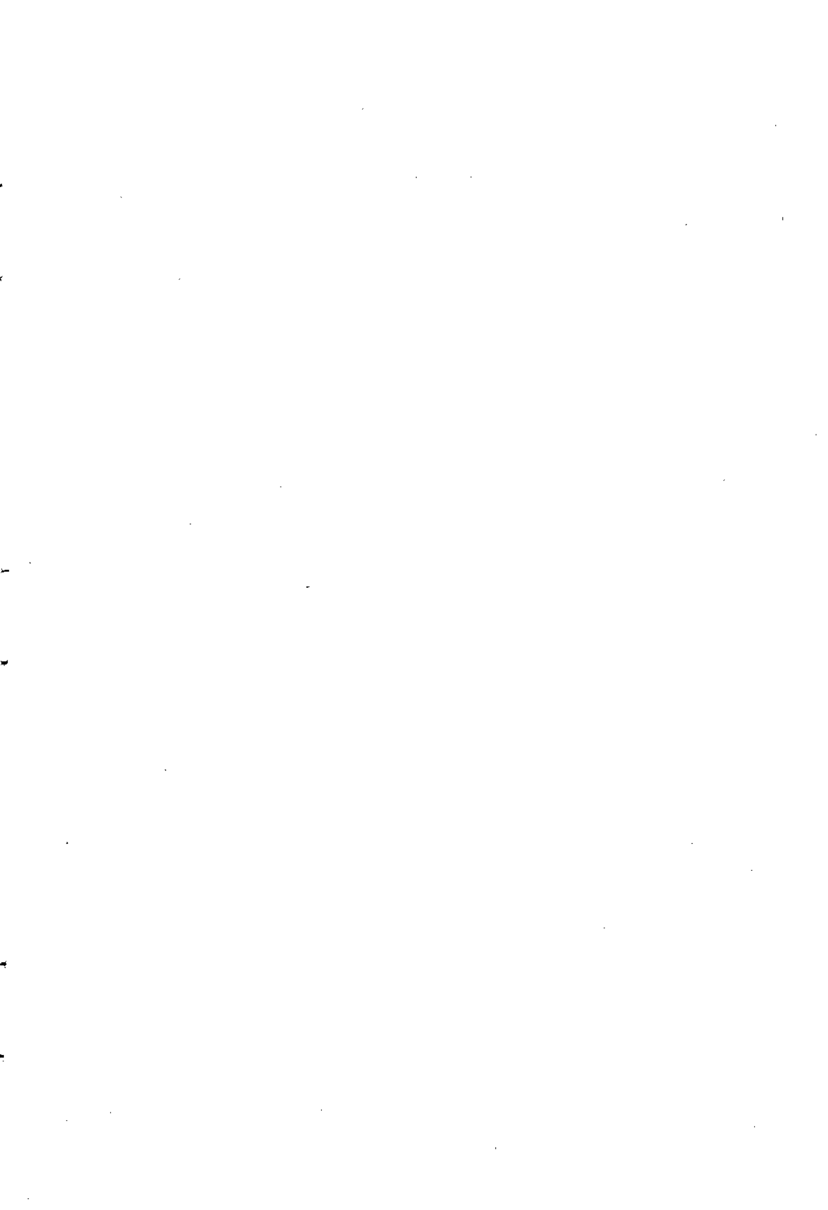
وهـذا مرض اجتماعي أصـاب كثـيراً من الملتـزمين والـدعـاة فسرق الشيطان أوقـاتهم الغالية وزيّن لهم ما يصنعونه بأسباب غالبها غير صحيح .

وقد سبق لي ذكر هذا في نازع الدعوة ولكني أعدت ذكره هنا لما له من التعلق والخصوص بهذا المبحث ولأهمية التركيز عليه .

١٤ ـ معرفة أن النوازع يترتب بعضها على بعض :

يجب أن يعـرف مريد التـوازن أن النوازع المختلفة يترتب بعضها على بعض ـ غالباً ـ فالدعوة لا بد لها من علم ، وثمـرتهـا الجهـاد ، وضـابط الجهـاد هو العلم الشرعيّ ، والجهاد يحسن معه توفر المال اللازم ، وهكذا . . .

فمعرفة هذا تعين على طلب التوازن وترشّده



خاتمـــة

ثم في نهـاية هذا المبحث إليك أخي هده العبارات الـذهبية من الحـافظ الذهبي تبين لك أن التوازن بين النوازع هو طريق الصالحين وسمت المتقين :

قال الذهبي رحمه الله تعالىٰ: «فوالله إن ترتيل سبع القـرآن في تهجد قيام الليل، مع المحافظة على النوافل الراتبة، والضحىٰ، وتحية المسجد، مع الأذكار المأثورة الثـابتـة، والقـول عنـد النـوم واليقـظة، ودبر المكتوبة والسحر، مع النظر في العلم النافع والاشتغال به مخلصاً لله، مع الأمـر بالمعـروف ، وإرشاد الجاهل وتفهيمه ، وزجـر الفـاسق ، ونحـو ذلك ، مع أداء الفرائض في جماعـة بخشـوع وطمـأنينة وانكسار وإيمان ، مع أداء

الـواجب ، واجتنـاب الكبـائـر ، وكثـرة الـدعـاء والاستغفـار ، والصـدقـة، وصلة الـرحم، والتـواضع والإخـلاص في جميع ذلـك ، لشغل عظيم جسيم ، ولمقـام أصحـاب اليمين وأولياء الله المتقين ، فإن سائر ذلك مطلوب »[١] .

وقال الأستاذ عبد الكريم زيدان ـ فيما يعتبر مكمّلاً لكـلام الإمـام الذهبي : « المثالية في الإسلام تتصف بالشمول ؛ لأن الإسلام يريد من المسلم أن يبلغ الكمال المقدر له بتناسق وفي جميع شؤونه فلا يُقبل على جانب واحـد أو عدة جوانب ويبلغ فيهـا المستـوىٰ العالي من الكمال بينما يهمل الجوانب الأخرىٰ حتى ينزل فيها إلى دون المستـوى المطلوب ، إن مثله مثل من يقوي يديه ويترك سائر أعضائه رخوة هزيلة ضعيفة .

وعـلى هذا الأسـاس فهم الصحـابـة الكـرام مثالية الإسلام فلم تأسرهم عبادة ولم تقيدهم عادة وإنما تقلّبوا

---

(١) « نزهة الفضلاء » ١: / ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

في جميع العبادات والأحوال وبلغوا فيها المستوى العالي من الكمال ، فلم يحبسوا أنفسهم في مكان ولا على نوع من العبادة ولا على نمط معين من الأعمال وإنما باشروا الجميع فعند الصلاة كانوا في المسجد يصلون ، وفي حلقات العلم يجلسون معلمين أو متعلمين ، وعند الجهاد يقاتلون ، وعند الشدائد والمصائب يواسون ويساعدون وهكذا كان شأنهم في جميع الأحوال »[1]



---

(١) أصول الدعوة : ٧٠ .

عـــــزاء

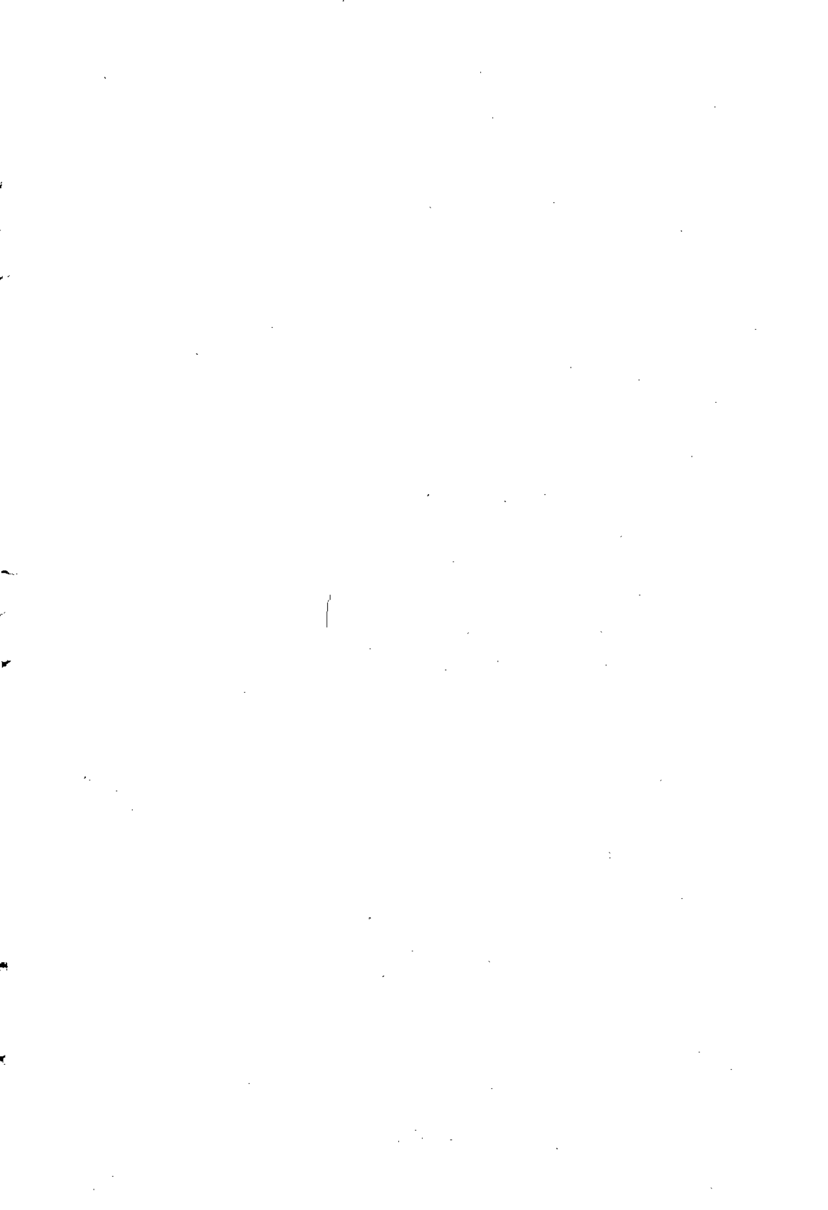
ثمّ - أخي - إن لم تستطع بعد كل هذه الضوابط والأسس أن تحوز الفضائل وتجمع بين النوازع فعلِّلِ النفس بحديث ابن الجوزي حيث يقول :

«ولله أقوام ما رضوا من الفضائل إلا بتحصيل جميعها فهم يبالغون في كل علم ، ويجتهدون في كل عمل، ويثابرون على كل فضيلة ، فإذا ضعفت أبدانهم عن بعض ذلك قامت النيات نائبة وهم لها سابقون »[١] .

وفي الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا البحث في ميزان أعمالي يوم ألقاه ، وأن ينفع به عباده ، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوّة إلا بالله ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأميّ وعلى آله وصحبه وسلم □

---

(١) « صيد الخاطر » : ٢٤٠ .



المراجـــع

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية . د . عبد الحميد الصيد الزنتاني . الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ـ ١٩٨٤ م .
٣ ـ أصول الدعوة . الأستاذ عبد الكريم زيدان . مكتبة المنار الإسلامية . الطبعة الثالثة .
٤ ـ الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله . إصدار لجنة البحوث . مكتبة دار الدعوة . الكويت . الطبعة الأولى . ١٤٠٩هـ .
٥ ـ بصائر تربوية . مراجعة د . عمر الأشقر . دار النفائس . الأردن . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

٦ - تحفة الأحوذيّ بشرح جامع الترمذيّ . الإمام محمد المباركفوريّ . دار الفكر . ضبط عبد الرحمن عثمان .

٧ - ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة . ترتيب الأستاذ الطاهر أحمد الزاوي . دار الكتب العلمية ، بيروت . ١٣٩٩هـ .

٨ - جيل النصر المنشود . الأستاذ يوسف القرضاوي .

٩ - حول إعادة تشكيل العقل المسلم . د . عماد الدين خليل . كتاب الأمة . رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية . الطبعة الأولىٰ .

١٠ - الرائد . مجلة الطلائع الإسلامية . العدد ١٢٩ .

١١ - شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنّة . د . محمد علي الهاشمي . دار البشائر الإسلامية . بيروت . الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ .

١٢ ـ صحيح البخاري . تحقيق الأستاذ أحمد شاكر .
دار الجيل . بيروت .
١٣ ـ صيد الخاطر . الإمام ابن الجوزي . تحقيق الأستاذين علي وناجي الطنطاوي . دار الفكر . دمشق . الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ .
١٤ ـ لسان العرب . الإمام أبو الفضل محمد بن منظور الأفريقي . دار صادر ، بيروت .
١٥ ـ لفتة الكبد إلى نصيحة الولد . الإمام ابن الجوزي . مكتبة التراث الإسلامي . مصر .
١٦ ـ معجم مقاييس اللغة . الإمام أحمد بن فارس . تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ..
١٧ ـ المصباح المنير ، العلامة أحمد بن محمد الفيومي ، مكتبة لبنان ـ بيروت ، ١٩٨٧ م .
١٨ ـ المنهل العذب الرويّ في ترجمة قطب الأولياء النووي . الحافظ محمد بن عبد الرحمٰن

السخاوي ، تحقيق الدكتور محمد الخطراويّ .
مكتبة دار التراث . المدينة المنورة ، الطبعة
الأولىٰ ١٤٠٩هـ .

١٩ - نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ،
للمؤلف ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، جدة ،
الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ ●

الفهرس

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع الصفحة